الكتاب: لوامع الحقائق في أصول العقائد
المؤلف: ميرزا أحمد الآشتياني
الجزء: ١
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق: تخريج وتعليق: حسين بن علي الروشني الگلپايگاني
الطبعة:
سنة الطبع: ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م
المطبعة:
الناشر: دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان
ردمك:
ملاحظات: خرج أحاديث الجزء الأول وعلق على مبحث النبوة تلميذه حسين بن علي الملقب بن "روشني" الگلپايگاني

لوامع الحقائق
في
أصول العقائد
تأليف
حضرة الأستاذ المحقق الآقا ميرزا أحمد الآشتياني
مد ظله
يشمل الجزئين
خرج أحاديث الجزء الأول وعلق على مبحث النبوة
تلميذه
حسين بن غلي الملقب به " روشنى " الگلپايگاني
دام تأييده
١٣٩٩ ه - ١٩٧٩ م
بيروت - لبنان
لوامع الحقائق
في
أصول العقائد
من مؤلفات الأستاذ المحقق
الميرزا أحمد الآشتياني
الناشر
دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين.
وبعد، فيقول العبد الحقير، أحمد الآشتياني: هذه وجيزة مشتملة على التوحيد وما يتلوه من المباحث الأصولية، ألفتها تذكرة لإخواني المؤمنين، طلاب الحق واليقين، وسميتها " لوامع الحقائق " وأرجو منه تعالى أن يجعلها ذخرا ليوم فاقتي، يوم يقوم الناس لرب العالمين، وفيها مباحث.

" المبحث الأول في التوحيد "

أن أسهل الطرق لمعرفة رب العالمين والوصول إلى هذا الفوز العظيم، هو التأمل في الآيات الأنفسية، والتفكر في الآيات الآفاقية، والمقصود من الأول في اصطلاحنا: هي العلامات والحكم الثابتة في خلقة كل فرد من أفراد أنواع المخلوقات، والدلائل المحققة في كل جزء وعضو من أجزائه وأعضائه. ومن الثاني: الترتيب الجملي الموجود في أجزاء العالم الجسماني على الوضع المخصوص والنضد المتحقق فيها، ووجه اختصاص كل قسم بما له من الطبيعة والآثار. فإذا تأمل العاقل المنصف في الحكم الموجودة في خلقة كل فرد من أفراد المخلوقات و أجزائه وأعضائه فيما له جزء أو عضو، وفي لمية اختصاص كل نوع بما

له من الطبيعة والآثار، يعلم ويتيقن أن للعالم الجسماني من أرضه و سمائه، ربا خالقا، حيا، مريدا، قادرا، محيطا بكل فرد من أفراد العالم، بل لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وفيضه وعطاؤه دائم على جميع الموجودات.

أما بيان الأول يعني تحصيل معرفة الله من التأمل في الآيات الأنفسية، فنقول: إن الإنسان إذا قرأ كتاب نفسه التي هي أقرب المخلوقات إليه، واشتغل بتلاوة آياته وتأمل فيها، يعلم أن مبدء وجوده وتكونه، إنما هو جوهر التراب ونقاوته التي جذبها أصول النباتات والأشجار من الأرض وصارت غذاء لها، ثم تصورت بصورة الأوراق والحبات والفواكه، ثم صار تلك النباتات والحبات غداء للحيوانات، وجملة من الحيوانات مع الفواكه وبعض النبات والحبات تصير غذاء للانسان وبعد ما صار ذلك الغذاء في معدة الإنسان مطبوخا ومنهضما، انتقل جوهره بوسيلة الأمعاء، والعروق الدقيقة الجاذبة النابتة منها، إلى الكبد، وبعد جريانه في عروق دقيقة كثيرة مفروشة في جرم الكبد، ينقلب إلى الدم، ثم تصير تلك العروق متحدة وعرقا واحدا يطلع من حدبة الكبد، وينتهي إلى العرق المسمى بالأجوف الصاعد والنازل، ثم من ذلك العرق يجري الدم إلى القلب والرية، ومن القلب يجري في العرق النابت من القلب، (وهو قوس يسمى باليونانية آورطى، ومنه يسري بوسيلة الشريانات إلى جميع الأعضاء وأجزاء البدن، فيأخذ كل عضو وجزء قسطه من ذلك الدم، ويتغذى به، وتأخذ القوة المغيرة، منه ما تجعله منيا، وبتوسط قوة الشهوة، وآلة التناسل، ينتقل إلى الرحم، فيصير فيه بعد تحولات وانقلابات إنسانا كاملا أي تام الأعضاء والجوارح والقوى اللازمة له في تحصيل معاشه ومعاده، فهل العاقل

المنصف، يجوز أن هذه الخلقة العجيبة المحيرة للعقول، مع هذا النضد والترتيب المستحسن، وجدت من طبع مادة نطفة - مع صورة ما - التي تكون متحولة على سبيل الدوام من صورة إلى صورة أخرى، بلا شعور، ولا إرادة، ولا قدرة * حتى تصل إلى مرتبة الجنين - ولا يكون كل صورة أيضا علة لصورة تليها، لأن كل صورة جديدة لاحقة، توجد عند زوال سابقتها، والمعلول لا يكون باقيا عند زوال علته -؟ حاشاه عن مثل هذا التوهم الباطل، وهل الإنسان العاقل إذا رأى مجسمة إنسان أو حيوان بلا روح، أو صورة واحد منهما المنقوشة على جدار، أو قرطاس، يحتمل ويجوز أن أمثال هذه حصلت من غير صائغ وصانع ومصور؟ وكم من فرق بين هذه الأمثلة، وبين المخلوقات ذوات الأرواح والقوى، المصنوعة بالصنع الإلهي، والقدرة الأزلية؟ نعم:

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة * فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

وإذا أراد مصور أن يحكي صورة إنسان، أو حيوان، فكم يحتاج إلى تهيئة ألوان من المداد، وأقلام صغيرة، وكبيرة، لحكاية ما أراد تصويره؟ فجلت وعظمت قدرة الخالق العظيم، كيف أوجد أشكال الحيوانات، والانسان، والأشجار، والرياحين الغير المحصورة المتنوعة، بلا مداد، ولا أقلام محسوسة، في ظلمات البطون، والأرحام، وغيرهما، بقلم القدرة النافذة في ذوات الموجودات، وبواطن المخلوقات.

ولنذكر في المقام، تقريبا للمرام: رواية شريفة، رواها المحدث التقي المجلسي قدس سره في المجلد الثاني من البحار (كتاب التوحيد) باب إثبات الصانع، عن كتاب الاحتجاج، وهي أنه

" دخل أبو شاكر الديصاني - وهو زنديق - على أبي عبد الله عليه السلام، فقال له: يا جعفر بن محمد، دلني على معبودي، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أجلس

– فإذا غلام صغير، في كفه بيضة يلعب بها – فقال أبو عبد الله عليه السلام، ناولني يا غلام البيضة، فناوله إياها، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا ديصاني، هذا حصن مكنون، له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة، وفضة ذائبة، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة، ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة، فهي على حالها، لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن إصلاحها، ولم يدخل فيها داخل مفسد فيخبر عن إفسادها، لا يدرى للذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبرا؟ قال فأطرق مليا، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأنك إمام وحجة من الله على خلقه، وأنا تائب مما كنت فيه ".

هذا كله في بيان أول الدليلين، أعني الآيات الأنفسية.

وأما بيان الدليل الثاني: أي الاستدلال بالآيات الآفاقية، فنقول:

لو تأمل اللبيب الآخذ بميزان العقل، في لمية اختلاف كليات العالم الجسماني، من أرضه وسمائه، يعلم ويتيقن أن اختلاف تلك الأجسام في الطبائع والآثار، مع أنها من حيث نفس الطبيعة الجسمية واحدة، لا بد وأن يكون مستندا إلى علة وسبب خارج عن عالم الجسم والجسماني.

توضيحه: أنا إذا نظرنا في الأجسام العنصرية من الأرض، والماء والنار، والهواء، رأينا أن كل واحد منها يضاد الآخر في الطبيعة والآثار، حتى يقال: أين طبيعة الأرض وآثارها، من طبيعة الماء وآثارها وهكذا، وكذلك (أي في اختلاف الطبيعة والآثار) الشمس، والقمر، وساير الكرات الجوية – وهي النجوم التي كل واحد منها كرة مستقلة، على ما يقوله أرباب الاكتشافات الجديدة، وقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: " هذه النجوم التي في السماء، مدائن مثل

المدائن التي في الأرض، مربوطة كل مدينة إلى عمود من نور الخبر " (١) مع أن كلا منها من حيث نفس الطبيعة الجسمية المشتركة واحدة، كما قال الشيخ الرئيس في الإشارات: " إنها (إلى الجسمية) طبيعة نوعية محصلة تختلف بالخارجات عنها دون الفصول " فلا يمكن أن يكون كل واحدة من هذه الطبائع المختلفة التي بعضها مضاد لبعض آخر، من مقتضيات نفس الجسمية المشتركة في الكل، كيف ولو كانت الجسمية مقتضية للمائية، أو النارية، أو غيرهما، لكان جميع الأجسام ماء، أو نارا، وهكذا؟

ولو قيل: إن السبب لهذا الاختلاف جسم آخر، له طبيعة خاصة غير طبائع هذه الأجسام، وهو قد اقتضى هذا الاختلاف، فتنقل الكلام إليه، وإلى وجه اختصاص تلك الطبيعة المفروضة به، ولا يمكن أن يكون ذلك الوجه نفس الطبيعة الجسمية كما ذكر، ولا جسم آخر له طبيعة خاصة، لأن اختصاصها به يحتاج إلى سبب آخر، وهكذا، إلى غير النهاية، فلا بد أن يكون السبب أمرا آخر غير الجسم والجسماني، جعل وأوجد لكل قسمة من الأجسام الكلية طبيعة خاصة – على وجه الحكمة والمصلحة – تناسب أوضاع العالم، كبعد الشمس من الأرض على هذا المقدار المعين، وبعد كل كوكب وكرة عن ساير الكواكب والكرات، على وجه لا يتصادمان، ولا يتدافعان، وغير ذلك مما هو واقع في الوجود، وذلك السبب، هو الخالق الحكيم، والمبدء المنزه القديم الأزلي.

ولإثبات المطلوب طريق آخر: وهو أنه لا شبهة في اشتمال كل من الموجودات الممكنة إنسانا كان، أو حيوانا، أو نباتا، أو غيرها، على

جهتين: جهة الوحدة والشخصية والظهور، وجهة البطون والكلية و اللا بشرطية والنوعية، وكل منهما يخالف الأخرى ويقابلها، فلا يمكن عليه إحداهما للأخرى. وبعبارة أخرى: كل ممكن، زوج تركيبي، مركب من وجود وماهية، وظاهر أن مناط المناسبة والاشتراك بين الموجودات، هو الوجود، كما أن ملاك الاختلاف والتعين في الموجودات هو الماهية، فكل موجود خارجي، وجوده غير ماهيته.

وبعد ذلك نقول: لا يمكن أن تكون ماهية واحد من الموجودات، موجدة وعلة لوجود نفسها، ولا للوجود مطلقا. أما الأول: فبيانه، أن التأثير والاقتضاء، فرع الوجود، والمعدوم لا ذات له، فلا اقتضاء له، فتأثيرها في وجود نفسها، يستلزم تقدمها بوجودها على وجودها، وكونها موجودة في حال كونها معدومة، وهو محال، مع أنه لو كانت الماهية مقتضية وعلة لوجود نفسها بذاتها، لكان كل فرد من أفرادها واجب الوجود، ولما لم تكن أفراد الماهية محدودة بحد - إذ كلما وجد منها فرد، أمكن وجود أفراد أخرى لها، غير متناهية - فيلزم على هذا بقاء أفراد غير متناهية، واجبات الوجود في العدم. وأما الثاني: فلأن العلية فرع مناسبة العلة مع المعلول، كمناسبة النار مع الحرارة، والشمس مع النور الساطع منها، وإلا لجاز صدور كل شئ من كل شئ، ولا مناسبة بين الماهية المعدومة، والوجود أصلا. وبهذا البيان، ظهر بطلان عكسه، أي كون الوجود علة للماهية، مع أن الماهية لا يمكن أن تكون مجعولة مطلقا، لأن الجعل إيجاد ما لم يكن، وتكوين ما لا كون له، آنا ودفعة، وإعطاء غير الوجود، إنما هو بنقله من مكانه، بعد إيجاده وتكوينه. ولما امتنع صدور كل واحد من الماهية، والوجود الإمكاني عن الآخر، فلا بد أن يكون السبب، حقيقة الوجود المجرد

عن الماهية، الذي كان وجود الموجودات ذوات الماهيات بأسرها من شؤون ذاته وآثاره، وأفعاله، ورحمته الواسعة، المعبر عنها بالفيض المقدس المنبسط على الماهيات، بمقتضى حب ذاته، وعلمه الكمالي الذي هو عين ذاته.

وبعد ما ثبت بهذه الوجوه والطرق، كون العالم الجسماني، ذا مبدء، خالق، قادر، حكيم، منزه عن كونه جسما وجسمانيا، أعني أمرا وقوة حالة في جسم، فهو منزه عن صفات الأجسام وخواصها و عوارضها، من المكان، والزمان، والحد، والقرب والبعد المكانيين، بل هو محيط بظواهر الموجودات وبواطنها، بالعلم والقدرة، علما شهوديا، لا صوريا - خياليا أو عقليا - لأنه يدرك جميع الأشياء ويشاهده بذاته، ولذلك لا يثقل حفظ الموجودات عليه تعالى، لأن كل الموجودات صور علمية له، قائمة بذاته قياما صدوريا، والمعلوم لا يثقل على العالم به، كما قال سبحانه في الكتاب الكريم: " ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم (١) وقال " إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده " (٢).

ولخلوصه عن شوب الماهية التي هي ظلمة في ذاتها، وصرافته في النورية، لا ثاني له، لأنه كلما فرض له ثان ونظر إليه فهو هو، لأن إلا ثنينية تحتاج إلى الامتياز، ولا امتياز، فهو أحد واحد لا نظير له، ويمتنع بحكم العقل أن يكون متعددا، كما أن مركز الدائرة لا بد أن يكون واحدا، وإلا كان غير ذلك الواحد خارج المركز، لا مركزا، كما قرر في محله.

---

١ - سورة البقرة آية ٢٥٥.

٢ - سورة فاطر آية ٤١.

وبيان البرهان التفصيلي في المقام موقوف على ذكر مقدمة: و
هي أن إطلاق لفظ النور على مصاديقه في العرف، كنور الشمس، والنور الحادث من القوة الكهربائية، وغيرهما، إنما هو لكونه ظاهرا بذاته، ومظهرا لغيره مما لا ظهور له في ذاته، كسطوح الأجسام، والأشكال، والألوان، فإنه لولا الشمس، أو غيرها من المنورات، كانت مظلمة، ثم إنه إذا تأمل الإنسان وتفكر، يعلم أن الظهور لكل نور إنما هو بسبب وجوده، وأن كل ما لا وجود له لا ظهور له، وكذلك ظهور كل محسوس، والاحساس به، لأجل وجود ذلك المحسوس، ووجود القوة الحاسة له، غاية الأمر أن مدرك المحسوسات مختلف، فمدرك ظهور الأنوار هو القوة الباصرة، ومدرك ظهور الأصوات هو القوة السامعة، ومدرك ظهور الطعوم هو القوة الذائقة، وهكذا الحال في بواقي المحسوسات، والكل بتبع الوجود، فما لم يوجد صوت لا يدركه السامعة، وما لم يوجد طعم لا يدركه الذائقة، وهكذا في كل الظهورات، فعلم أن كل ظهور في العالم إنما هو بالوجود، فكل ما لا وجود له لا ظهور له، جوهرا كان، أو عرضا، لكن ظهور كل محسوس لمدركه، له شرائط، إذا لم تكن تلك الشرائط لا ظهور له، وإن كان له وجود، مثلا: الظهور للأبصار يحتاج إلى لون، ونور، فما لا لون له لا يرى، وإن كان موجودا مدركا للقوة اللامسة، كالهواء.
ثم نقول: كما أن كل ما له نور وظهور حسى، قد يكون ذلك له بذاته بلا انعكاس من غيره كنور الشمس، والنور الحادث من القوة الكهربائية، وقد يكون ذلك بانعكاس من غيره، كالأجسام المستضيئة بهما، كذلك الوجود، وهو النور الحقيقي، على قسمين: قسم ظاهر بذاته، ووجود وموجود بذاته، وهو الوجود القيومي، والنير المنور

لعالم الكون، والوجود الأصيل الذي هو حقيقة واحدة بالوحدة الحقيقية الحقة الإطلاقية، وقسم ظهوره بغيره، أي وجوده عارضي مفاض من غيره كجميع الماهيات. وكما أن لكل حقيقة في ذاتها وبذاتها من دون اختلاط غيرها بها وحدة حقيقية، كالماء، والتراب، وغيرهما، والتعدد، والاختلاف، والكثرة، عرضت عليها من قبل الاختلاط بالغير، كمكان، أو لون، أو طعم، أو غيرها، فلو جردت عن جميع ذلك كانت واحدة – لأن الشئ بنفسه لا يتثنى، ولا يتكرر، وإلا لم يوجد منه واحد، وإذا لم يوجد واحد، لا يوجد الكثرة منه، لأن كل كثرة، لا محالة مركبة من الوحدات، وكل مركب، يتركب من البسائط – فكذلك الوجود الأصيل أيضا حقيقية واحدة، لا كثرة، ولا تعدد فيها، غاية الأمر: أن غير الوجود من الحقائق قابل للاختلاط بغيره، من المكان، والزمان، وغيرهما مما هو في عرضه، كما ذكر، وأما حقيقة الوجود، لأنها مبدأ كل وجود ومفيضه، فهي متقدمة على كل شئ، وليس في عرضها شئ ليختلط بها، فهي باقية على وحدتها الذاتية.

وببيان آخر: نقول: ما يطلق عليه لفظ الوجود، ويقال له الموجود، على قسمين: قسم له حقيقة وذات – تسمى بالماهية – غير الوجود، و اسم خاص بإزائها، مثاله: الكلمات التي يتكلم بها الإنسان، وحروفها كألف، وباء، وغيرهما، فلها حقيقة وماهية هي ماهية ألف، وباء، ولها وجود يوجد في عالم اللفظ، والكتابة، ولولاه، لا تقرر لها لفظا، أو كتابة، لأن ماهيتها ليس لها في ذاتها وجود، ولو كان، لكانت موجودة بنفسها من غير احتياج إلى لافظ، أو كاتب، فوجودها عارض عليها من اللافظ، أو الكاتب وهكذا حال جميع الموجودات التكوينية، من البسائط، والمركبات، التي لها حقيقة وماهية غير الوجود، كالماء،

والأرض، والنبات، والحيوان، وغيرها، فماهيتها غير وجودها، و وجودها عارض عليها من مبدء موجود، ومن فيض المفيض الوهاب وقسم هو محض الوجود، ولا ماهية له غير الوجود، وذاته صرف الوجود الذي هو مبدء كل وجود عارضي - فإن كل عرضي معلل، ولا بد أن ينتهي إلى ما بالذات، ولأن التابع بلا متبوع ممتنع، فإن صفحة جسم لم يكن لها نور في نفسها، وصارت منورة بالعرض، من غيرها، يمتنع كونها منورة مع عدم كون مثل شمس أو غيرها من النيرات بذواتها، ولا يتفاوت الأمر في ذلك بين صفحة واحدة، أو صفحات غير متناهية، لأنها من هذه الحيثية في حكم صفحة واحدة، تحتاج إلى منور بذاته لو لم يكن لما كانت منورة، فجميع الموجودات ذوات الماهيات وجودها عارض على ماهيتها، فلا بد أن تنتهي إلى وجود مجرد عن الماهية - وإذ لم تكن له ماهية يكون بها محدودا، وممتازا عن وجود آخر مفروض، فلا تعدد له، لأن التعدد فرع الامتياز، وإذ لا ميز، فلا تعدد، فكلما فرض ثانيا، وثالثا، فهو الأول، فالمبدء الأول لكونه صرف الوجود، لا ثاني، ولا نظير له، ويكون نورا صرفا ليس له ظلمة الماهية، لأن كل ما له ماهية، لا يقتضي الوجود بذاته، إذ الاقتضاء فرع الوجود، كما ذكر، فإذا كان مظلما في ذاته، كان مركبا من الوجود والماهية، ومركبا من النور والظلمة، والمبدء المنزه عن الماهية، عين الوجود، وصرف الوجود والنور، كما ورد في الخبر، عن هشام بن سالم: قال: " دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقال لي أتنعت الله؟ قلت: نعم، قال: هات، فقلت: هو السميع البصير، قال: هذه صفة يشترك فيها المخلوقون، قلت: فكيف ننعته؟ فقال: هو نور لا ظلمة فيه، وحياة لا موت فيه، وعلم لا جهل فيه، وحق لا باطل فيه، فخرجت من عنده وأنا أعلم الناس

بالتوحيد " (١).
وبتقريب آخر نقول: قدر تقرر في مدارك المحققين، ودفاتر تحقيقاتهم، أن ملاك شخصية كل شئ، ومناط قبوله الإشارة، هو نحو وجوده، وما لا وجود له، ليس قابلا للإشارة إليه، وأما الأعراض التي يطلق عليها اسم المشخصات من المكان، والزمان، والكم، والكيف، وغيرها، فهي معدات التشخص، وأما؟؟؟ لأن كل واحد منها في حد ذاته ماهية مهملة، وكلي طبيعي، يحتاج في تشخصه إلى الوجود، وأما الوجود فهو متشخص بنفس ذاته، وقد ورد في الدعاء المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، في طلب الحاجة " يا هو يا من هو هو، يا من ليس هو إلا هو، يا هو، يا من لا هو إلا هو " (٢) فالهوية له بنفس ذاته، وإذا كان متشخصا بذاته، وكان ملاك التشخيص والوحدة أمرا واحدا هو الوجود - لأن وحدة الشئ بوحدة وجوده، و تعدده بتعدده - فوحدته وحدة حقة، يعني ليس مثل إنسان واحد له ذات غير الوحدة، موصوف بوحدة عارضة، وبوجود زائد على ذاته و ماهيته، بل مثل نفس مفهوم الوحدة، فإنه واحد بذاته. فالحق المتعال موجود بذاته، متوحد بذاته، متشخص بذاته، ولما كان كل وحدة في قبال كثرة وفي عرضها، وليس في قباله تعالى وعرضه شئ، بل كل ما هو غيره سبحانه في طوله، ومن أفعاله، وآثاره، فوحدته وحدة إطلاقية، فهو الواحد بالوحدة الحقيقية الحقة الإطلاقية، الذي لا ثاني، ولا نظير، ولا كفو له، فهو الواحد الأحد، و الأحدية معناها البساطة وأن ليس

لها جزء، ولما ثبت كونه نورا صرفا، فهو أحد بسيط لا جزء له.
تذنيب: في بيان أن صفات الله العليا عين ذاته المقدسة، فنقول على الوجه الكلي: إن كل صفة من صفات الكمال، وأوصاف الجمال، يرجع إلى الوجود، فإن كون الشخص عالما، معناه: أن له وجودا مجردا يكون له معلومات قائمة بذاته، مشهودة لذاته، وكونه قادرا على شئ، معناه: أن وجود ذلك الشئ صادر عن قدرته، وموجود عن وجوده، وكونه حيا، معناه: أنه الدراك الفعال، والدرك يرجع إلى العلم، والفعل يرجع إلى القدرة.
فإذا ثبت أن ملاك كل صفة كمالية هو الوجود، نقول: لما كان الله تعالى مجردا محضا، ووجودا صرفا، محيطا بجميع الموجودات، فكلها حاضرة لديه، مشهودة لذاته، صادرة عن قدرته وإرادته، فهو عليم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته، وحيث أن كل موجود ممكن أوجده الله تعالى، مع قطع النظر عن جهة محدوديته بماهية، خيرا محضا، فجميع ما صدر عنه - من حيث نفس وجوده - مراد له تعالى.
وبعد ذا نقول: علمه سبحانه على قسمين: علم مع الايجاد، وعلم قبل الايجاد، أما الأول: فهو عبارة عن العلم الشهودي الحضوري، فإن جميع الموجودات لما كان صادرا عن ذاته، وقائما به بالقيام الصدوري، فالكل مشهود له تعالى، ومعلوم له بالعلم الحضوري، كما في القرآن " وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين " (١) وأما الثاني: فالمراد منه العلم الكمالي الذاتي، ببيان: أن ما يوجد في عالم من عوالم الوجود، تنزلات من أصول سابقة، وليس المراد أن تلك الأصول مبادئ ومواد لما يوجد

---

١ - سوره يونس آية ٦١.

بعدها، كما قال به بعض الفلاسفة: وهو ذيمقراطيس، فان مذهبه أن مبادئ العالم، أجرام صغار صلبه غير منقسمة، متفقة في الطبيعة، مختلفة في الأشكال، وحيث أن الأجسام مع اتحادها في الجسمية المشتركة، لا يمكن أن تكون مختلفة في الطبيعة والآثار، أسند اختلاف كليات الأجسام من المائية، والنارية، وغيرهما، باختلاف أشكالها. ببيان: أن الأجزاء الكروية الشكل مبادئ للماء، والمثلثات منها للنار، وهكذا. ورد بأن اختلاف تلك الأجرام في الأشكال مع اتحادها في الطبيعة المشتركة ممتنع.

وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له: " لم يخلق الأشياء من أصول أزلية، ولا من أوائل كانت قبله (أي قبل خلق الأشياء) بدية، بل خلق ما خلق، وأتقن خلقه، وصور ما صور، فأحسن صورته " (١) بل المراد من هذه الأصول، والفروع الموجودة بعدها: أنه تعالى، أوجد في العالم السفلي، ما يشابه ويماثل في الماهية، لما أوجده في العالم الأعلى، كما في القرآن " وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم " (٢) وليس المراد من هذه الخزائن، أن هذا الشيء مع أمثاله بهذه الكيفية، موجود في عالم الفوق، كما هو واضح، بل المراد منها: أن هذا الشئ وغيره موجود في ذلك العالم بصورة أخرى، إذا تنزلت - أي وجدت في هذا العالم - يصير ذلك الشئ كالكلي المنطقي مع أفراده، وخاتم ينطبع منه أمثال ما هو منقوش فيه، في محال من القراطيس، وغيرها، وهو على حاله، وفي مكانه، وتلك

الأمثال عكوس، وأنموذج لذلك الخاتم، فذلك المماثل، يكون حاكيا عن الأصل المنزل عنه، وإن كان مخالفا معه من وجوه، كما هو حال كل مثال مع ممثله، وقد قال تعالى: " وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون " (١) فإن المراد من الأمثال في الآية، تنزيل الحقايق اللبية في ألبسة القوالب الجزئية، لتفهيم من لا يشهد تلك الحقايق، فتلك الأصول ثابتة في محالها، ومواطنها، لا تصعد منها، ولا تتنزل، كما قال عز وجل، حكاية عن الملائكة: " وما منا إلا له مقام معلوم " (٢) فكلما يوجد في عالم السفل، فهو فرد أوجده الله تعالى، فيه، مشابها لذلك الكلي الإحاطي الذي أوجده في عالم الفوق، وقد ورد عن علي بن الحسين عليهما السلام: " إن في العرش تمثال جميع ما خلق الله " (٣) وورد عن أبي عبد الله عليه السلام: " إن حملة العرش أحدهم على صورة ابن آدم يسترزق الله لولد آدم، والثاني على صورة الديك يسترزق الله للطير، والثالث على صورة الأسد يسترزق الله للسباع، والرابع على صورة الثور يسترزق الله للبهائم، الخبر " (٤) فإيجاد ما في العالم السفلي مشروط بإيجاد ما في العالم العلوي كما أن إيجاد الإنسان للجزئيات مشروط بإيجاده للكليات، فما لم يتعقل، لم يتوهم ولم يتخيل، فهو العاقل المتوهم المتخيل، لا أنه يوجد العقل، والعقل يوجد الوهم والخيال، ونظيره في مراتب الصعود، حال الغذاء الذي يتكون منه الإنسان، بعد ورود تحولات كثيرة عليه، فإنه يصير أولا كيلوسا، ثم كيموسا،

---

١ - سورة العنكبوت آية ٤٣.
٢ - سورة الصافات آية ١٦٤.
٣ - أورده المجلسي قدس سره في بحار الأنوار (كتاب السماء والعالم) باب العرش والكرسي وحملته، نقلا الأخير منه عن كتاب الخصال. وفي الباب بمضمون الثاني أخبار أخر.
٤ - تقدم آنفا تحت رقم ٣.

ثم دما، ثم نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، وهكذا، حتى ينتهي إلى وجود الإنسان.
فثبت: إن كلما تحقق في عالم الملك والشهادة، فهو من أصل سابق في عالم متفوق عليه، وهكذا، حتى ينتهي إلى ما لا نهاية له مدة، وعدة وشدة وهو وجود الحق تعالى، وأحسن ما قيل في المقام، إن صدور العالم عن الباري تعالى، كصدور الأفكار عن ذوي الروية، فإن الفكر صادر عن ذات الإنسان، لا عن فكر آخر، لكن صدور كل فكر عن متفكر، لا بد أن ينشأ من خصوصية في ذاته، فإن الخائف عن عدو، يتفكر في وسائل تنجيه من ذلك العدو، وكذا المحب لشئ، يتفكر فيما يتوسل به للوصول إلى مطلوبه، وهكذا، فصدور العالم عن الباري عز اسمه أيضا ناشئ عن خصوصية، هي عين ذاته المقدسة، ومبدء لصدور جميع الأشياء ووجودها، فحضور ذاته تعالى، وعلمه بذاته، علم بتمام ما يصدر عنه أزلا وأبدا.
ولنختم الكلام في المقام، بذكر ما ورد عن أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب عليه السلام في توحيد الله عز وجل، تأييدا وتأنيسا لما ذكر، وهو أنه عليه السلام قال في خطبة: " دليله آياته، ووجوده إثباته، ومعرفته توحيده، وتوحيده تمييزه من خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة، لا بينونة عزلة " (١) قوله عليه السلام: دليله آياته، أي ما يدل ويهدي إلى معرفته، آياته ومخلوقاته لأن المصنوع يدل على صانعه، قوله عليه السلام: ووجوده إثباته، إما بمعنى الوجدان، يقال: وجده وجودا، ووجدانا، أي أدركه، يعني وجوده لغيره بمعنى إثباته له، أو بمعنى أن وجوده

ظاهر مستلزم للإثبات، كما قيل بالفارسية:
آفتاب آمد دليل آفتاب * گر دليلت بايد از وى رو متاب
قول عليه السلام: ومعرفته توحيده، لأنه ما لم يوحد لم يعرف، قوله عليه السلام: وتوحيده تمييزه من خلقه، يعني معرفة أنه وجود محض، و حياة صرفة، والمخلوقات بأسرها ماهيات أوجدت بالفيض المقدس، والرحمة الواسعة، فصارت ممتازة عنه، لأن الله تبارك وتعالى حياه محضة أصلية، وتلك ماهيات أفيض عليها الوجود الظلي، ويستفاد من هذا التمييز، أن البينونة بين الرب والخلق بينونة صفة، أي بينونة التابع مع متبوعه، والفعل مع فاعله، والأثر مع مؤثره، لأن الخلق موجود بالوجود الإمكاني، والله تعالى موجود بالوجود الأصيل الحقيقي الواجبي، وليست البينونة بينه وبين المخلوق، كبينونة الماهيات كل واحدة مع أخرى، إذ ذات كل واحدة من الماهيات لا ربط لها بذات الأخرى، لأنها منتهية إلى الأجناس العالية، وكل منها مباين مع ماهية أخرى بتمام الذات، ولما لم يكن بينها ربط بوجه، فلا يمكن أن يكون واحدة منها معلولة لأخرى، وأثرا منها، وهذا هو البينونة العزلية، وإلى هذا أشار عليه السلام نقوله: بينونة صفة، لا بينونة عزلة.

المبحث الثاني في النبوة

والكلام فيه يقع في مقامين: المقام الأول في إثبات النبوة المطلقة، وأنه يلزم في الحكمة الإلهية إرشاد أهل كل عصر وزمان إلى ما يكون موجبا لصلاحهم وكمالهم، من التعليمات العلمية، و الأخلاقية، والعملية، بواسطة نبي مبعوث من قبله تعالى، أو بهداية وصية وخليفته. والمقام الثاني في إثبات النبوة الخاصة.

أما الكلام في المقام الأول فنقول: لا ريب في بطلان الترجيح من غير مرجح، وأن إنكاره يستلزم القول بجواز الترجح بلا مرجح الباطل باتفاق الكل حتى عند الأشعريين، لأن حدوث إرادة أحد المتساويين دون الآخر في نفس الفاعل من دون مرجح، كان من الترجح بلا مرجح، ومن وجود الممكن بلا علة، فهذا أصل. ولا شبهة أيضا في أنه: كما أن المحسوسات على قسمين، قسم مطبوع، وقسم منفور، فكذلك الأفعال، قسم حسن عند العقل كالعدل والاحسان، وقسم قبيح كالظلم والعدوان، وهذا أصل آخر.

وبعد ذلك نقول: لا ريب في أن العقلاء لا يقدمون على أمر خطير ليس له نتيجة عقلائية، وفائدة مهمة لا سيما إذا كان ذلك الأمر ملازما أو مشتملا على مفاسد كثيرة، ومضار غير قابلة للتدارك، وليس بناؤهم في أفعالهم أن يفعلوا على طريقة الصبيان باللهو واللعب، ولا على سيرة السفهاء من الإقدام على ما لا نتيجة عقلائية ولا غاية فكرية له، غير تضييع العمر وإتلاف الوقت، لوضوح أنه أمر قبيح، والعقلاء لا يقدمون على مثله أصلا، فخالق العقول الذي أنعم عليهم بنعمة العقل التي تمنع عن الإقدام بمثل ما ذكر، أولى بأن لا يكون فعله بلا غاية ونتيجة خطيرة مهمة.

ولا ريب أيضا إن العالم الجسماني مشتمل على مضار ومفاسد عظيمة لا تحصى، كتلف نفوس كثيرة حيوانية من قبل الإنسان في كل يوم، وإنسانية من جهة وجود البلايا، والأمراض، والتصادفات، وغير ذلك مما يطول شرحه وتفصيله، ولوضوحه لا يحتاج إلى البيان، حتى قيل:

ليس البلية في أيامنا عجبا * بل السلامة فيها أعجب العجب

فلا بد أن يكون في إنشاء العالم وخلقه مرجح وغرض وفائدة مهمة يتدارك بها تلك المفاسد، وإلا لكان هذا ترجيحا بلا مرجح، بل من ترجيح المرجوح على الراجح، وهو قبيح، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، كما قال عز وجل: " وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار " (١)

يعني أن الذين يؤمنون بالله العلي الحكيم، ويعتقدون أنه يمتنع أن يكون فعل من أفعاله وصنع من صنائعه بلا حكمة ومصلحة، لا يقولون بأن خلقة العالم وقعت بلا غرض عقلائي وفائدة مهمة، بل ذلك ظن الذين لا يؤمنون به تعالى، ويعتقدون أن خلقة العالم وقعت على سبيل البخت والاتفاق، لا من صنع صانع حكيم.

وبعد وضوح ما ذكرناه نقول: إن ذلك الغرض والمصلحة لا يمكن أن يكون صرف الحياة الدنيوية، والتعيش المادي، والأكل والشرب، وأمثالها، والابتلاء بالآلام، والأسقام، والبلايا، والمصيبات، والمحن، بأن يخلق الله تعالى هذا العالم لأجل تلك الأمور المكررة الدنية الزائلة، ثم يسبب موجبات فنائه، ثم يخلق مثل ما خلق أولا، وهكذا إلى غير النهاية، كصانع صنع عدة من أواني صينية مرغوبة مشتملة على نقوش وصور، ثم صبغ الكل بعد مدة بصبغ ذهبت بطراوتها ونضارتها ثم كسر الكل، ثم اشتغل بمثل ما صنع أولا، وكان شأنه كذلك على الدوام، وهل يرضى من يعد في زمرة أولي الألباب، ويبالي بشأنه، أن ينسب إليه مثل ذلك العمل؟ كلا وحاشا، إن هذا العمل لا يصدر إلا عن السفهاء، والعقلاء منزهون عن هذا، فلا بد أن يكون الغرض

---

١ - سورة ص آية ٢٧.

من خلقة العالم شيئا آخر، والحق الصريح الحقيق بالتصديق لمن جانب الهوى، ورفض الأقوال التي لا يعتني بها العقلاء: إن ما يمكن أن يكون نتيجة وغاية لهذا الخلق العظيم، والعالم الكبير، هو بلوغ أفراد قابلة للارتقاء بأوج الكمالات العلمية والعملية، إلى أعلى مراتب السعادة، وتخلقهم بمكارم الأخلاق وتنزههم عن رذائلها، واتصافهم بالملكات الحسنة، وإتيانهم بالأعمال الصالحة، وتركهم للأفعال القبيحة، و وصولهم إلى قرب ساحة رب العالمين، واقترانهم بالملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين المخلدين في جنات ونعيم.

ولما خلق الله عز وجل أفرادا مستعدة للبلوغ إلى مرتبة الكمال فمن ألطافه الكريمة أن يجعل فيهم معلمين ربانيين، يعلمونهم جميع العلوم النافعة، ويكملونهم بأنواع الكمالات، فيبعث فيهم أنبياء منزهين معصومين، يرشدونهم إلى ما هو صلاح دنياهم وآخرتهم، و يعلمونهم علم التوحيد ومعرفة الحق المتعال كأنهم يرونه، وعلم المعاد كأنهم يشهدونه، فيحصل لهم رادع قلبي ومانع باطني عن كل سوء و فحشاء، (١) كما ذكره المتكلمون في تقرير قاعدة اللطف: إن من كان بصدد تحصيل أمر عقلائي وفائدة مهمة، فلا بد أن يهيئ جميع ما يتوقف عليه حصول ذلك، حتى أن من يدعو ضيفا إلى منزله ويكتب إليه مكتوبا، يثبت في كتابه عبارات تحسن عند المدعو، وترغبه إلى تلك الضيافة ونزوله في ذلك المضيف.

ونقول أيضا: لا ريب: في أن منافع موجودات العالم الجسماني ترجع إلى الإنسان، إلا قليلا ينتفع منه غيره، لأن الإنسان أكمل

إداركا من غيره، وبحسب خصوصية أعضائه قادر على الاستفادة والانتفاع من كل شئ، فينتفع من الأرض والماء والنبات والمعدن والحيوان، و هو لكونه أكمل المخلوقات أشرفها، ومن شاهد السماء والأرض، وما فيهما، يرى أنها خلقت له، ولو لم يكن لوقعت جملة منها معطلة، ولكن لما كانت أفراد الإنسان صاحبة شهوات وأهواء نفسانية متقابلة متدافع بعضها مع بعض آخر، من شهوة الجاه والمقام، والملك، والنكاح والغذاء، وغيرها، ولازمه أن يطلب كل ما ينفع بحاله، ويدافع المزاحم له، يؤدي ذلك إلى الفتنة والفساد، ووقوع الهرج والمرج بينهم، ولا ينتظم أمورهم إلا بأمرين، أحدهما السلطان العادل المطاع الرؤف برعيته، الذي تكون سيرته جلب المنافع لهم، ودفع ما لا يصلح بحالهم كما قال تعالى في القرآن العظيم: " ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله " (١) والثاني وجود عالم منزه عن الرذائل، معصوم عن القبائح، معلم للأخلاق الفاضلة، مقنن للقوانين المحكمة التي لا نقص ولا خلل فيها بوجه، و حاكم بين الناس بما أراه الله عز وجل من غير طمع وتوقع أجر، ومخبر عن بقاء الأرواح في القيامة الصغرى والكبرى وتجسم الأعمال وجزاء الأفعال.

بيان ذلك: إن المفاسد والمضار والقبائح التي تقع في العالم على قسمين، قسم يقع على وجه ظاهر يتظاهر به فاعله، وقسم يقع على وجه لا يعرف فاعله ومرتكبه إلا بعد مدة، أو بالتوسل إلى وسائل استكشافية، والقسم الأول يمكن دفعه بإيجاد المانع عن وقوعه، أو الردع عن مثله ونظيره بتشديد العقوبة على فاعله بعد ارتكابه، والقسم

---

١ - سورة البقرة آية ٢٤٦.

الثاني لا يتيسر دفعه لعدم العلم به قبل وقوعه إلا نادرا، وأما العقوبة عليه والقصاص عن فاعله بعد وقوعه، فهو وإن كان نافعا في الردع عن وقوع مثله غالبا، ومانعا عن إثارة الفتنة، وشفاء لما في صدور أقارب، المقتص له وأرحامه من الحسرة والغيظ، ودافعا للشماتة ونحوها، لكن الضرر الوارد من وقوعه لا ينجبر بذلك، إذا كان المقتص له شخصا عظيما ينتفع منه خلق كثير، ولا يتدارك بالقصاص عن فاعله، المنافع التي كانت مترتبة على وجود ذلك الشخص، فلا يؤثر في المنع والردع من وقوعه إلا رادع باطني وعلم يقيني بعالم المجازات وعقاب السيئات، فيحتاج في حصول ذلك العلم واليقين إلى عالم منزه متبع مقبول القول عند جميع الخلق، يعلمهم الأخلاق الفاضلة، ويردعهم عن الرذائل، و يخبرهم عن عالم الجزاء والقيامتين الصغرى والكبرى، وأن من يعمل مثقال ذرة من خير أو شر، يره بصورة مفرحة حسنة، أو بصورة مدهشة قبيحة، وينبههم عن كل ما أعد للمحسنين والمسيئين، ويقنن قوانين محكمة يعمل بها ذلك السلطان العادل ويجريها بين الناس، ولما كان ذلك العالم مبعوثا لتكميلهم فلا بد أن يكون أفضل، وكذا لا بد أن يكون معصوما عن ارتكاب القبائح والفواحش، وعن الخطأ، والغفلة، والسهو، والنسيان، إذ لو لم يكن كذلك لا يأتمرون بأمره، ولا ينتهون بنهيه، ولا يثقون بأخباره، وقد قيل:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى * طبيب يداوى الناس وهو عليل

وعليه أن يعظم ذلك السلطان العادل في أنظار الناس، ليتمكن من نظم مملكته، وحفظ الأمنية والأمان لأهلها ورعاياه، كما كانت سيرة الأنبياء مع الملوك الذين كانوا في أزمنتهم، وقد ورد في الخبر " أن

إبراهيم الخليل عليه السلام يسير ويمشي بجميع ما معه، وسلطان عصره – غير النمرود – كان معه، ويمشي خلفه إعظاما لإبراهيم عليه السلام، فأوحى الله عز وجل إليه عليه السلام، أن لا تمش قدامه ويمشي هو خلفك، بل اجعله أمامك وامش خلفه، وعظمه فتأخر عليه السلام عنه، ومشى خلفه كما أوحى إليه عليه السلام " (١) وعلى ذلك الملك أيضا أن يفخم ذلك العالم ويعظم قدره بما أمكنه، فذلك العالم قوة علامة للعالم، وذاك السلطان قوة مجرية عمالة، فعلى كل واحد مني يؤيد الآخر ويعاضده ويقويه، لينتظم أمر العالم، وإذا لم يكونا كذلك، فالويل والثبور لأهله، والحاصل: أنه لا بد في انتظام أمر العالم، وحصول المدينة الفاضلة، وقيام الخلق بوظائفهم، من وجود قوتين، قوة مقننة، وقوة مجرية كما ذكرنا، وهاتان القوتان إما تكونا قائمتين بشخص واحد، كما في بعض الأنبياء القائمين بالسيف، ومن جملتهم نبينا محمد صلى الله عليه وآله، وإما بشخصين كما في سائر الأنبياء مع سلاطين زمانهم.

ثم إنه لما كانت الصفات التي ذكرناها لذلك العالم، من الأمور الخفية التي لا علم لأحد بها إلا من قبل الله تعالى، فلا بد في معرفته، والاعتقاد بنبوته، إما من ظهور المعجزة على يده مقارنا لدعواه، أو أخبار الأنبياء السابقين عليه، بظهوره ونبوته، وبالجملة: لا بد من قيام الدليل القطعي الذي يوجب الجزم واليقين على صدقه ونبوته. ولا بد أيضا من وجود ذلك العالم في كل عصر وقرن، إذ لو لم يكن في زمان، لبقي العالم بلا مصلحة وفائدة، (٢) ويعود محذور الهرج والمرج، (٣) وكما

أن من وظيفة سلطان كل مملكة أن يجعل بين أهلها طبيبا أو أطباء يعالجون المرضى، ووظيفتهم الرجوع إلى المعالج، كذلك من لطفه تعالى بعث عالم منزه معصوم إلى الخلق في كل زمان، وأما رجوع الناس إليه فهو من وظيفتهم، وليس عليه سبحانه إجبارهم على ذلك، كجعله تعالى من باب لطفه العميم شوق الرئاسة والسلطنة في طبع بعض العباد، وإقداره الخلق على اختيار الملك العادل، لا إجبارهم عليه.

وأما الكلام في المقام الثاني أي النبوة الخاصة، فبعد ما ثبت بالبرهانين المذكورين في النبوة المطلقة، أنه لا بد في تمامية حكمة إيجاد العالم الجسماني وانتظام أمور الخلق معاشا ومعادا، من وجود عالم حكيم منزه معصوم، من غير اختصاص ذلك بزمان وقرن معين، نقول: إن نبي زماننا هذا – وهو خاتم الأنبياء – محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وآله، الذي بعثه الله عز وجل إلى كافة العباد في زمان غلب على أهله الفساد والتوحش، ولا سيما في جزيرة العرب، ولذلك صار معروفا بزمان الجاهلية، لكثرة جهال أهله، والسفلة من عباد الأصنام، ولنعم ما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في بيان حال أهل ذلك العصر: " وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء منتشرة، وطرائق متشتة، بين مشبه لله بخلقه، أو ملحد في اسمه، أو مشير إلى غيره " (١) وكانت أخلاقهم في غاية الرداءة والدناءة، يقتلون أولادهم خشية إملاق، وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب، ويقتلون من عشيرة القاتل الذي قتل واحدا من أفراد قبيلتهم،

أي شخص ظفروا به وإن لم يكن هو قاتل ذلك المقتول، وغير ذلك
من رذائل الأخلاق والعادات الناشئة عن الجهل والعصبية، فدعا هم صلى الله عليه وآله
إلى الإسلام، وهذبهم عن رذائل الأخلاق، ومساوئ العادات، وعلمهم
العلوم النافعة، والأحكام الشرعية المتقنة، ورغبهم إلى النصح والتودد
والاحسان، ونهاهم عن الظلم والفساد والعدوان، وأتعب نفسه الشريفة
في إعلاء كلمة التوحيد، وإقامة العدل بينهم، وإنقاذهم من الكفر
والشرك والضلالة، وتحمل أنواع الأذى والصدمات من الجهال والكفار.
فقد كان صلى الله عليه وآله زمان بعثته ساكنا في مكة المعظمة، وكانت عامة
أهلها إلا من شذ منهم كفارا مشركين، أو عابدين للأصنام كما ذكر،
فلما أظهر صلى الله عليه وآله دعوته بينهم، ودعاهم إلى الإسلام، وأمرهم بخلع
الأنداد والأصنام، شق ذلك عليهم، واستنكفوا عن إجابة دعوته، و
جملة منهم كأبي جهل، وأبي لهب، وأبي سفيان، وأمثالهم من كفار
قريش الذين كانوا في نهاية العداوة والبغضاء معه، لما رأوا عدم انصرافه
عن دعوته، وشاهدوا إقبال بعض الناس من الرجال والنساء إليه، و
إيمانهم به، اتفقوا على مخالفته وتكذيبه، ونسبوا السحر والجنون
والكهانة إليه، ومنعوا الناس عن التشرف بمحضره لاستماع مواعظه و
تبليغاته، وعن مشاهدة معجزاته، وإفشاء كراماته، ولم يقصروا عن
إيراد أنواع الأذى والصدمات عليه وعلى المؤمنين به، فأمر صلى الله عليه وآله أصحابه
بالهجرة إلى الحبشة، فخرجت جماعة منهم إليها.
وكفاك في هذا المقام خبر الصحيفة الملعونة التي كتبتها قريش
في مقاطعة بني هاشم (بعدما رأت أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قد نزلوا
بلدا أصابوا به أمنا وقرارا، وصار الإسلام يفشو في القبائل) على أن
لا يؤاكلوا بني هاشم، ولا يكلموهم، ولا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا

يحضروا معهم، حتى يدفعوا إليهم محمدا صلى الله عليه وآله فيقتلونه، وأنهم يد واحدة على محمد صلى الله عليه وآله يقتلونه غيلة أو صراحا، فالتجأ بنو هاشم إلى الذهاب في شعب أبي طالب رضي الله عنه، (١) وكان من دخل مكة من العرب لا يجترئ أن يبيع من بني هاشم شيئا، ومن باع منهم شيئا انتهبوا ماله، ومن رأوه معه طعاما نهوه أن يبيع منهم شيئا فلم يزل هذا حالهم، وبقوا في الشعب ثلاث سنين، وفي بعض الأخبار أربع سنين، لا يأمنون إلا من موسم إلى موسم، ولا يشترون ولا يبيعون إلا في الموسم، وكان يقوم بمكة موسمان في كل سنة، موسم العمرة في رجب، وموسم الحج في ذي الحجة، فكان إذا اجتمع الناس في المواسم تخرج بنو هاشم من الشعب، فيشترون ويبيعون، ثم لا يجترئ أحد منهم أن يخرج، إلى الموسم الثاني، وأصابهم الجهد والمشقة، وجاعوا ورسول الله صلى الله عليه وآله مع ذلك لم يكف عن دعوته، ولم يقصر عنها، فيخرج في كل موسم من الشعب، فيدور على قبائل العرب، فيقول لهم: " تمنعون جانبي حتى أتلو عليكم كتاب ربكم، وثوابكم الجنة على الله " وأبو لهب في أثره فيقول: لا تقبلوا منه، فإنه ابن أخي، وهو كذاب ساحر.

وفي بعض هذه المواسم جاء رهط من المدينة، فعرض نفسه الشريفة عليهم، وتلا عليهم بعض آيات القرآن، فآمنوا به صلى الله عليه وآله، ثم في المرة الثانية جاء رهط آخر من المدينة، فدعاهم إلى الإسلام، فآمنوا به، وبايعوه على نصرته بما تمكنوا منه، وبعد رجوعهم إلى المدينة انتشر الإسلام فيها، ثم أمر صلى الله عليه وآله أصحابه من المهاجرين من قومه ومن

معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة، وكفار قريش لما اطلعوا على بيعة حي من أهل المدينة معه، وانتشار دعوته فيها، شاوروا في أمره، فاتفق رأيهم على التهاجم على بيته في الليل لقتله، فأخبره الله عز وجل بسوء قصدهم، وأمره بالخروج من بلده إلى المدينة.

ولما نزل صلى الله عليه وآله بالمدينة، ولم يكن هناك أولئك الأعداء الذين كانوا في مكة المعظمة، وصار جملة من أهل المدينة بفضله تعالى مقبلين إليه، وراغبين إلى استماع مواعظه ونصائحه، وانتشرت دعوته إلى الإسلام في عدة من البلاد، توجهت إليه الوفود، ومن جملتهم نصارى نجران وقائدهم أسقف وهو حبرهم وإمامهم، وله فيهم شرف ومنزلة، وطالت المحاجة بينه صلى الله عليه وآله وبينهم، وانتهى الأمر إلى المباهلة، وقد حضر صلى الله عليه وآله مع نفر يسير من أهل بيته، وهم علي بن أبي طالب، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام، فقال الأسقف لأتباعه: إني لأرى وجوها لو سئلوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فانصرفوا عن المباهلة، وقالوا: يا أبا القاسم إنا لا نباهلك، ولكن نصالحك، فصالحهم النبي صلى الله عليه وآله على إعطاء الجزية فتقبلوا.

وبالجملة: رفع الله عز وجل ذكره، وكثر المؤمنون به، حتى تجهزوا للغزو مع أهل مكة، فتوجه صلى الله عليه وآله مع جنود وعساكر عظيمة إلى مكة المعظمة لفتحها، وقد علم أهلها مما بلغهم من أبي سفيان وغيره أن التابعين له صلى الله عليه وآله لا يتجاوزون عن أمره، ولا يختارون على طاعته شيئا، وكأن نفوسهم موضوعة على أكفهم ليبذلوها في نصرته ونصرة الإسلام، فاستسلموا بأجمعهم، واستقبلوا عساكر الإسلام خاضعين مسلمين، ولم يخرجوا واحد منهم للمبارزة والغزو معهم، فدخلوا فيها

آمنين، ولما دخل صلى الله عليه وآله وسم مكة، خاطب
معانديه من قريش وغيرهم وقال: " اذهبوا فأنتم الطلقاء "، وعفى عن جرائمهم، وعما
صدر عنهم
قبل ذلك من قبائح أفعالهم وكفرهم، ثم بعد ذلك انتشرت دعوته في البلاد
وعلت كلمة الإسلام، وكثر المسلمون، واستقرت سلطنتهم على من سواها
ثم ازدادوا إلى ما شاء الله.
ولما توقف ثبوت نبوة معين على دليل متقن وبرهان قطعي
يدل على نبوته كما ذكر، فنقول في هذا المقام: الدليل على كون
محمد صلى الله عليه وآله نبيا ومبعوثا من الله تعالى إلى الخلق أمور:
الأول: البشارات الواردة بقدومه المبارك وظهوره ونبوته في الكتب
المنسوبة إلى الأنبياء السابقين، كالتوراة، والإنجيل، وغيرهما، وفي
المقام نذكر نبذا منها نقلا عن تراجم الأناجيل والتوراة الرائجة
ففي إنجيل برنابا ورد هكذا:
(١٤) پس چون آدم برخاست بر قدم های خود، در هوا نوشته
دید که مثل آفتاب میدرخشید، که نص عين أو لا إله إلا الله ومحمد
رسول الله (صلى الله عليه وآله) بود (١٥) پس آنوقت آدم دهان خود بگشود، و
گفت: شکر میکنم ترا ای پروردگار، خدای من، زیرا که تو تفضل
نمودی، پس آفریدی مرا (١٦) ولیکن زاری میکنم بسوی تو اینکه مرا
آگاه سازی که معنای أین کلمات محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) چیست
(١٧)
پس خدای جواب داد: مرحبا بتو ای بنده من آدم (١٨) وبدرستیکه
میگویم بتو: که تو أول انساني که آفریده أم أو را (١٩) واینکه تو
دیدی أو را جز أین نیست که أو پسر تو است، آنکه زود است بیاید
بجهان بعد از أین بسالهای فراوان (٢٠) واو زود است بشود فرستاده
من، آنکه از برأي أو آفریدم همه چیزها را (٢١) آنکه چون بیاید

زود است نور بخشد جهانرا (٢٢) آنكه روان أو نهاده شده بود در جمال آسمانى شصت هزار سال پيش از آنكه بيافرينم چيزى را) (١).
وترجمته بالعربية: فلما قام آدم منتصبا على قدميه، رأى مكتوبا يشعشع ويلمع كالشمس، نص عينه لا إله إلا الله ومحمد رسول الله صلى الله عليه وآله، فحينئذ فتح آدم فاه، وقال: أشكرك أيها الرب، إلهي، لأنك تفضلت، فخلقتني، ولكن أتضرع إليك أن تنبهني ما معنى هذه الكلمات محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، فأجاب الله: مرحبا بك يا عبدي آدم، وأني أقول لك: أنت أول إنسان خلقته، وهذا الذي رأيته إنما هو (اسم) ابنك، الذي سيأتي في العالم بعد ذا بسنين كثيرة، وسيكون رسولي، الذي خلقت الأشياء لأجله، الذي إذا جاء سيضيئ العالم بنور وجوده، الذي جعل روحه في العالم العلوي قبل أن أخلق شيئا بستين ألف سنة، (أي قبل خلق الموجودات السفلية) ونظير هذه البشارة مذكور في فصول كثيرة من الإنجيل المذكور، قد نص في عشرة منها باسم نبينا (محمد) صلى الله عليه وآله (٢).
وفي التوراة مسطور هكذا: (١٨) وقال (إبراهيم) لله: ليت إسماعيل يعيش بين يديك (١٩) فقال الله لإبراهيم: سارة زوجتك تلد لك ابنا، وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم له ميثاقي عهدا مؤبدا ولنسله من بعده (٢٠) وعلى إسماعيل استجبت لك، هو ذا أباركه، وأكبره،

وأكثره جدا، فسيلد اثنى عشر رئيسا، وأجعله لشعب كبير.
وجه الدلالة: إن الله عز وجل أجاب دعوة إبراهيم عليه السلام في حق ابنه إسماعيل عليه السلام، وبشره ببشارات منها أن في نسل إسماعيل عليه السلام يكون اثنا عشر رئيسا، وهذه الرئاسة ليست إلا الزعامة العامة الإلهية على الخلق بمقتضى التبشير والامتنان، فكأنه سبحانه قال: إني جاعل في نسل إسماعيل عليه السلام اثنى عشر رئيسا، والرئاسة المذكورة بوصف كونها في اثني عشر لم تتحقق في أولاد إسماعيل عليه السلام ونسله إلا لإوصياء محمد صلى الله عليه وآله وخلفائه، وهم الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام، ومما ذكر ظهر فساد ما يمكن أن يقال: بأن المراد من الاثني عشر في المقام هو أبناء إسماعيل عليه السلام، وهم اثنا عشر، كل واحد منهم رئيس قبيلته، كما في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين، فإن رئاستهم لم تكن إلهية، ولم يكونوا صاحبي وحي وإلهام. ومنها منه عز وجل على إبراهيم عليه السلام أيضا بجعل إسماعيل عليه السلام رئيسا لأمة عظيمة (٢) وهذه الزعامة العامة الإلهية لم تتحقق أيضا لا لإسماعيل عليه السلام، ولا لأولاده ونسله غير محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله كما هو واضح لمن راجع أحوال إسماعيل عليه السلام، وأولاده في الكتب المدونة في هذا الباب، وقد ورد عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله أنه قال: " أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى عليهما السلام " (٣)

وفيها أيضا: (١٠) وقال لها (أي ملاك الرب لهاجر) أيضا:
إني سأكثر نسلك إكثارا، ولا يحصى من كثرته (١١) وبعد ذلك قال
لها: هو ذا إنك حامل، وستلدين ابنا، وتدعين اسمه إسماعيل، الآن
الرب قد سمع تعبدك (١٢) هذا سيكون إنسانا وخشيا، ويده ضد الجميع
ويد الجميع ضده، وقبالة جميع إخوته ينصب المضارب. (١)
وفيها أيضا: (٩) فلما رأت سارة أن ابن هاجر المصرية يا حب
مع إسحاق ابنها، قالت لإبراهيم: (١٠) اخرج هذه الأمة وابنها، لأن
ابن هذه الأمة لا يرث مع ابني إسحاق (١١) فصعب على إبراهيم لموضع
ابنه (١٢) وقال الله له: فلا يصعبن عليك من أجل الصبي، ومن أجل
أمتك، مهما قالت لك سارة اسمع منها، لأنه في إسحاق يدعى لك الزرع
(١٣) وابن الأمة أيضا، فإني سأجعله لشعب عظيم، لأنه زرعك (١٤)
فقام إبراهيم بالغداة، وأخذ خبزا وسقاء من ماء، ووضع ذلك على
عاتقها، وأعطاها الصبي وأطلقها، فلما مضت كانت تايهة في برية بئر سبع
(١٥) وفرغ الماء من السقاء، فطرحت الصبي تحت شجرة هناك (١٦) و
مضت فجلست بإزائه من بعيد نحو رمية سهم، لأنها قالت: لا أرى الصبي
يموت. وجلست قبالته، ورفعت صوتها بالبكاء (١٧) فسمع الله صوت
الصبي ونادى ملاك الله هاجر من السماء قائلا: مالك يا هاجر لا تخشى
أنه قد سمع الله صوت الصبي من حيث هو (١٨) قومي فخذي الصبي و
امسكي بيده، فإني أجعله لشعب عظيم (١٩) وفتح الله عينيها، فنظرت
بئرا من ماء، وانطلقت فملئت السقاء وسقت الصبي (٢٠) وكان الله معه، ونمى
وسكن في البرية، وصار شابا يرمي بالسهام (٢١) وسكن برية فاران. (٢)

والمستفاد من هذه العبارات أمور: الأول إن ما قالته اليهود:
من أن إسماعيل عليه السلام خرج عن نسل إبراهيم عليه السلام باطل جدا،
فإنه عز وجل قال: وابن الأمة أيضا، فإني سأجعله لشعب عظيم، لأنه
زرعك. الثاني إنه سبحانه وعد هاجر عليها السلام بكثرة النسل والذرية
من قبل ابنها إسماعيل عليه السلام كثرة لا تحصى، كما بشر إبراهيم عليه السلام
بهذا على ما سبق، ولا شك في أن محمدا صلى الله عليه وآله كان من أولاد إسماعيل
عليه السلام، ومعلوم لمن راجع كتب الأنساب والتواريخ، أن ذرية إبراهيم
عليه السلام ونسله من إسماعيل الذين وصفهم الله عز وجل بالكثرة
والازدياد، إنما هم ذرية خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله من ابنته
فاطمة عليها السلام، وقد قال عز من قائل: مخاطبا له صلى الله عليه وآله " إنا
أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر " (١) ردا
على من عابه صلى الله عليه وآله، بعد موت ابنه، بأنه أبتر لا عقب له يقوم مقامه بعده،
فإذا مات انقطع أمره وذكره، واسترحنا منه، وأخبارا وبشارة له صلى الله عليه وآله
بكثرة نسله وذريته من عبده، وعدم انقطاع أمره وذكره وقد كثر
اليوم نسله وذريته في البلاد كثرة لا تحصى، وانتشر دينه ورفع ذكره
صلى الله عليه وآله مع أن أعدائه ومخالفيه سعوا في إطفاء نوره، وانقطاع نسله و
ذريته من بعده إبقاء لأمرهم وملكهم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كر
الكافرون، فصار الأمر على خلاف مقصودهم، وانقطع أمرهم، ولم يبق
منهم اسم ورسم وذكر. الثالث إنه سبحانه بعد أن بشر هاجر عليها
السلام بكثرة النسل والذرية، وأنها ستلد ابنا، وصف ذلك الابن بصفات
لم تنطبق على إسماعيل عليه السلام، ولا على أولاده ونسله إلا على محمد صلى الله
عليه وآله.
بيانه: إن كل واحدة من تلك الصفات لا بد أن يكون فضيلة وكمالا

---

١ - سورة الكوثر

لذلك الابن بمقتضى المن والبشارة. وبعد ذا نقول: أما الأولى منها وهي كونه وحشيا (١) فالمراد منه أنه لاستغراقه في محبة الله، وكمال توجهه إليه سبحانه، منقطع عن الخلق، معرض عما سواه تعالى، وهو عبارة أخرى عن كونه حبيب الله، الذي لقب الله عز وجل به نبينا محمد صلى الله عليه وآله. وأما الثانية وهي أن يده ضد الجميع، ويد الجميع ضده، فهي أيضا من أوصاف نبينا صلى الله عليه وآله، فإنه جاهد في الله حق جهاده، مع الكفار، والمشركين، والمنافقين، من زمن بعثته إلى يوم ارتحاله، ومخالفوه مجتمعون على تكذيبه، وإيذائه، وقتله، وأما إسماعيل عليه السلام وساير أولاده فلم يعهد عنهم هذا المعنى. وأما الثالثة وهي أنه في قبالة جميع إخوته ينصب المضارب، فهي أيضا من خصائص محمد صلى الله عليه وآله، حيث إنه نصب مضارب التوحيد، والنبوة، والشريعة، والمجد والعظمة، في مقابل بني أعمامه، وهم بنو إسرائيل (٢) ودعاهم إلى دينه وشريعته، وأوجب عليهم طاعته، بعد أن كانت لهم السيادة والنبوة بعد يعقوب بن إسحاق عليهما السلام.

وقد دعا يعقوب عليه السلام بنيه قبل موته ليخبرهم بما يصيبهم في آخر الأيام، فكان من جملة ما أنبأهم به قوله: " فلا يزول القضيب من

يهوذا، والمدبر من فخذه: (١) حتى يجيئ الذي له الكل، وإياه تنتظر الأمم " (٢) ومفاده: أن الملك والنبوة لا يخرجان من قبيلة يهوذا وبيت إسرائيل، حتى يجيئ النبي الموعود الذي ينتظره جميع الأمم وبمجيئه يزول ملكهم ونبوتهم، ولا يمكن أن يكون ذلك الجائي موسى عليه السلام، لبقاء سيادتهم ورسالتهم بعده عليه السلام كما هو واضح، ولا عيسى عليه السلام أيضا، لأنه كان من نسل يهوذا، (٣) مع أن النبي الموعود وصف بأنه الذي ينتظره جميع الأمم، وعيسى عليه السلام لم يكن كذلك، فإنه غلى ما في إنجيل متى لم يبعث إلا على خصوص بني إسرائيل، (٤) فليس هذا الجائي إلا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، حيث إنه كان مبعوثا على جميع الخلق، وشريعته باقية إلى يوم القيامة، وبشر الأنبياء السابقون عليه أممهم بمجيئه، وظهوره، ونبوته صلى الله عليه وآله.

وفي التوراة أيضا: (١٥) فإن نبيا من شعبك ومن إخوتك مثلي

يقيمه لك الرب إلهك فاسمع منه (١٦) كما سألت الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع حين قلت: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا، لكيلا أموت (١٧) فقال الرب لي: نعم جميع ما قالوا (١٨) وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين إخوتهم، وأجعل كلامي في فمه، ويكلمهم بكل شئ آمره به (١٩) ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا أكون المنتقم من ذلك.

ومفاده: أن موسى عليه السلام قال لبني إسرائيل: إن الله تعالى يبعث من بين إخوتكم نبيا يكون مثلي، فاسمعوا قوله وأطيعوه، وقد استجاب عز وجل دعوتكم ومسألتكم يوم اجتماعكم في حوريب، إذ قلتم له سبحانه: لا طاقة لنا بعد اليوم أن نسمع صوت الرب، ونشاهد البرق والصاعقة، كما كنا نسمع ونشاهد حين نزول الوحي على موسى عليه السلام، فلو كان نزول الوحي على النبي الموعود بهذه المثابة إذا نهلك ونموت، فقال الله عز وجل لي: قد أجبت مسئلتهم، وسأبعث من بين إخوتهم نبيا يكون مثلك، ولا يكون نزول الوحي عليه كنزول الوحي عليك، بل أجعل كلامي ووحيي في فمه، فيكلمهم بكل ما أمرته به، ومن لم يطعه فأنا المنتقم منه.

دلت هذه العبارات أولا على أن النبي الموعود لا يكون من بني إسرائيل بل يكون من إخوتهم (٢)، وثانيا أنه لا يكون أقل مرتبة من موسى عليه السلام، وثالثا أنه صاحب شرع جديد كموسى عليه السلام، وهذه العلامات والصفات لم تصدق على أحد من الأنبياء الذين جاؤوا بعد موسى عليه السلام، غير محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، لأنهم عليهم السلام كانوا جميعا

من بني إسرائيل حتى عيسى عليه السلام كما ذكر سابقا، (١) ولم يكن مرتبتهم مثل موسى عليه السلام، لما ورد في التوراة: " ولم يقم بعد ذلك نبي في إسرائيل مثل موسى يعرفه الرب وجها لوجه " (٢) وهذه العبارة وهي: ولم يقم بعد ذلك الخ. تنفي احتمال كون المراد من الأخوة في العبارة السابقة بني إسرائيل أنفسهم، للزوم التناقض بينهما كما هو واضح.

وفي إنجيل يوحنا ورد هكذا: (١٥) إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي (١٦) وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر (٣) ليثبت معكم

إلى الأبد (١٧) روح الحق (١) الذي لن يطيق العالم أن يقبله، لأنه ليس
يراه ولا يعرفه، وأنتم تعرفونه، لأنه مقيم عندكم وهو ثابت فيكم (١٨)
لست أدعكم يتامى، إني سوف أجيئكم.... (٢٦) والفار قليط روح القدس (٢)
الذي يرسله الأب باسمي هو يعلمكم كل شئ، وهو يذكركم كلما
قلته لكم.... (٢٩) والآن قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنوا (٣٠)
من الآن لا أكلمكم كثيرا، لأن أركون هذا العالم يأتي (٣) وليس له

في شئ.
وفيه أيضا: (٢٦) فأما إذا جاء الفارقليط الذي أرسله أنا إليكم
من الأب، روح الحق الذي من الأب ينبثق (٢) هو يشهد لأجلي (٢٧) وأنتم
تشهدون لأنكم معي من الابتداء. (٣)
وفيه أيضا: (٧) لكني أقول لكم الحق أنه خير لكم أن أنطلق،
لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط، فأما إن انطلقت أرسلته إليكم (٨)
فإذا جاء يوبخ العالم على خطية، وعلى بر، وعلى حكم (٩) أما على الخطية
فلأنهم لم يؤمنوا بي (١٠) وأما على البر فلأني منطلق إلى الأب ولستم
ترونني بعد (١١) وأما على الحكم فإن أركون هذا العالم قد دين (١٢) وأن
لي كلاما كثيرا أقوله لكم، ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن (١٣) وإذا
جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق، لأنه ليس ينطق من
عنده، بل يتكلم بكل ما يسمع، ويخبركم بما سيأتي (١٤) وهو يمجدني،
لأنه يأخذ مما هو لي ويخبركم. (٤)
وهذه العبارات تدل على أمور منها بشارة عيسى عليه السلام وإخباره بمجيئ

الفارقليط. (١) ومنها أن مجيئه منوط بذهاب عيسى عليه السلام. ومنها أنه أعظم مرتبة من عيسى عليه السلام. (٢) ومنها أن ذكره ودينه وشرعه ثابتة باقية إلى يوم القيامة. (٣) ومنها أنه يعلم الخلق جميع ما يحتاجون إليه في أمر دنياهم وآخرتهم، ويبين لهم كلما لم يبينه عيسى عليه السلام: (٤)

ومنها أنه بكون رئيسا للعالم ويجب طاعته على جميع الخلق. (١)
ومنها أنه يعظم عيسى عليه السلام، ويشهد بطهارته ونبوته. (٢) ومنها أنه كلما يأمر به وينهى عنه فهو أمر الله ونهيه سبحانه. (٣) ومنها أنه إذا جاء يلوم أهل العالم ويوبخهم على الخطأ، ويلزمهم على الصدق، والعدل والإنصاف. (٤) ومنها أن عيسى عليه السلام بعد أن أخبر بمجيئ ذلك الفارقليط، أوصى بتصديقه والإيمان به بعد مجيئه، ووعد عليه السلام برجوعه إلى الدنيا بعد زمان كثير. (٥)
ومن الواضح أن الذي بشر عيسى عليه السلام بمجيئه بعده، ووصفه بكونه رئيسا للعالم، يعني مبعوثا ورسولا من الله تعالى إلى جميع الخلق،

ومطاعا لكافة الأنام، وكان سائر الأوصاف المذكورة في كلامه عليه السلام مجتمعا فيه، ليس إلا خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله.
فما ذكره النصارى: من أن المراد من الفارقليط المذكور
هو الروح القدس الذي نزل على الحواريين بعد عيسى عليه السلام باطل من من وجوه كثيرة لا يسع المقام ذكر جميعها فلنقتصر بإيراد بعضها،
الأول أن الروح القدس على معتقدهم كان متحدا مع عيسى عليه السلام، فلو كان المراد من الفارقليط ذلك الروح، فقوله عليه السلام: فارقليط آخر، وكذا قوله: لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط، لا معنى له. (١) الثاني أن عيسى عليه السلام صرح بأن الفارقليط الذي يرسله الله عز وجل إليكم يكون ثابتا فيكم وباقيا معكم إلى الأبد، فعلى مدعى النصارى، من هم الذين يبقى معهم الروح القدس إلى الأبد، أهم خصوص الحواريين، فآلان أين الحواريون، حتى يكون الروح ثابتا فيهم و باقيا معهم، أم أعم منهم ومن غيرهم، فيجيبوا لنا، أن ذلك الروح بعد ذهاب الحواريين من العالم على أي واحد نزل، والآن يكون مع أي شخص، وما علامة بقائه مع ذلك الشخص، مع أن المستفاد من جملة: ليثبت معكم إلى الأبد، ثبوت ذلك الفارقليط في العالم، وبقاؤه مع جميع أهله، ولما لم يكونوا قادرين على الجواب، فليس لهم بد إلا اختيار أحد الأمرين، إما تكذيب عيسى عليه السلام، أو تصديق نبوة

محمد صلى الله عليه وآله، والاذعان بأنه هو الفارقليط الذي أخبر عيسى عليه السلام بمجيئه بعده، حيث إنه صلى الله عليه وآله كان صاحب شرع أبدي، وله أوصياء قائمون مقامه بعد ارتحاله صلى الله عليه وآله واحدا بعد واحد، والآن يكون وصيه الثاني عشر حيا موجودا في العالم، وباقيا مع أهله إلى ما شاء الله ولما كان هؤلاء الأوصياء خلفاء له صلى الله عليه وآله، فهم بموجب خلافتهم عنه كانوا بمنزلة نفسه الشريفة، فبقاء واحد منهم عليهم السلام بقاؤه صلى الله عليه وآله.

الثالث أن عيسى عليه السلام قال: وهو (أي الفارقليط) يشهد لي، وأنتم تشهدون، لأنكم معي من الابتداء، فعلى ما ذهب إليه النصارى، يلزم كذب قول عيسى عليه السلام وإخباره بشهادة الفارقليط له، لأن الروح النازل على الحواريين لم يشهد عند أحد بطهارة عيسى عليه السلام و نبوته، إذا الحواريون الذين كانوا مدركين لما يقوله ذلك الروح لم يكونوا محتاجين إلى شهادته، لكونهم معتقدين بنبوة عيسى عليه السلام ويعرفونه حق معرفته، كما هو مدلول قوله عليه السلام: لأنكم معي من الابتداء، وغيرهم من الذين أنكروا نبوة عيسى عليه السلام وإن كانوا محتاجين إلى الشهادة، لكنهم لم يكونوا متمكنين من سماع شهادة الروح، لأن سماعهم منه متوقف على نزوله عليهم، وظهوره لديهم، والمفروض عدم نزوله على غير الحواريين، وأما لو كان المراد من الفارقليط نبينا محمد صلى الله عليه وآله، فصدق ما أخبر به عيسى عليه السلام من شهادة الفارقليط له ظاهر، حيث إنه صلى الله عليه وآله عظم عيسى عليه السلام و مجده، وشهد بنبوته عند منكريه، وبرأه من ادعاء الألوهية الذي هو من أعظم أنواع الكفر والضلالة، وقدس أمه مريم البتول عليها السلام عما نسب إليها مما يكون منافيا لعصمتها ومجدها. الرابع أن عبارة

إنجيل متى صريحة في أن روح القدس كان نازلا على الحواريين حين إرسال عيسى عليه السلام إياهم إلى بلاد إسرائيل، (١) فلو كان المراد من الفارقليط ما ادعاه النصارى، لم يكن وجه لقول عيسى عليه السلام: لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط. الخامس أن عيسى عليه السلام صرح بأن الفارقليط إذا جاء يوبخ العالم على الخطأ، الخ. فلو كان المراد منه الروح القدس، يلزم عدم صدق هذا الإخبار، لأن الروح لم ينزل على غير الحواريين، فلم يكن بينه وبين غيرهم من أهل العالم ربط حتى يوبخهم ويلومهم على خطاياهم، ولم يعهد هذا التوبيخ من الحواريين أيضا، لأنهم بمقتضى كتب العهد الجديد كان دأبهم الوعظ والترغيب، لا التوبيخ والترهيب، فلا بد للنصارى إن كانوا مؤمنين بعيسى عليه السلام أن يصدقوا نبوة محمد صلى الله عليه وآله، فإنه هو الذي وبخ الكفار والمشركين، وبالغ في تسفيههم وتشنيعهم، وذم أهل الكتاب من اليهود والنصارى على غلوهم في دينهم، وذهابهم إلى غير الحق من التثليث والتجسيم وغيرهما، وأنكر عليهم أشد الإنكار (١)، ودعا جميع هؤلاء الفرق إلى توحيد الله عز وجل وعبادته، وألزمهم على الصدق، والعدل والإنصاف.

الثاني من الأمور الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله إتيانه بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلا من حكيم حميد، وإنما فردناه عن غيره من المعجزات، لأنه أقوى دلالة منها على نبوته، ولكونه معجزة باقية له صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، والكلام تارة في دلالة، وأخرى في وجه إعجازه.

أما الأول فبيانه: أنه صلى الله عليه وآله ادعى النبوة، وأتى بالقرآن الكريم متحديا به، وطل من قومه وأهل زمانه المعارضة ببيانات مختلفه، وعبارات متفاوتة، وجعل عجزهم عن الاتيان بمثله دليلا على أنه نزل عليه بوحي من الله عز وجل، وأنه صلى الله عليه وآله مبعوث من عند ربه، فدعاهم أولا إلى الإتيان بمثل القرآن، ثم وسع عليهم وقنع منهم بأن يأتوا بعشر سور مثل سوره، ثم سهل الأمر عليهم فرضي عنهم بإتيان سورة واحدة من مثله، ثم صرح بعد ذلك بعجزهم بل عجز الخلق من الإنس والجن على الاتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وواضح أنهم لو كانوا متمكنين من الإتيان بمثله بل بمثل سورة منه لأتوا به، لأنهم كانوا متهالكين في إبطال أمره صلى الله عليه وآله، ويتوسلون بكل حيلة في تكذيبه ورده، ويعادونه أشد المعادات، إذ هو صلى الله عليه وآله قام بين أظهرهم، فعاب آلهتم ودينهم، وسفه أحلامهم، وشتت أمرهم، وفرق جماعتهم، وذم آبائهم وأسلافهم بكفرهم، ودعاهم إلى توحيد الله تعالى وعبادته، وأمرهم بطاعته سبحانه وطاعة نفسه، وهم كانوا مشهورين بغاية العصبية والحمية في حفظ آرائهم السخيفة، وعاداتهم الباطلة، ورسوم أسلافهم الجاهلية، ومعروفين بسفك دمائهم في طريق الفخر والمباهات، والدفاع عن الأحساب والأنساب، فعدم إتيانهم بمثل

القرآن بل بمثل سورة قصيرة منه والحال هذه، واشتغالهم بالحرب معه، مع أن فيه هتك الحرم، وإسارة العيال، وتلف النفوس والأموال، دليل قطعي على عجزهم عن المعارضة مع القرآن، وبرهان يقيني على صدقة صلى الله عليه وآله في دعوى النبوة.

وأما وجه إعجازه فأمور: منها حسن تأليفه والتئام كلمه و فصاحته وبلاغته، بحيث لو وقع آية منه في كلام فصيح بليغ لكانت ممتازة عنه، متلألأة فيه، كالنجم الزاهر، والبدر اللامع، في غسق الليل، ومن كان له أدنى مهارة في فن الفصاحة والبلاغة، وراجع كلمات الفصحاء من الخطب والأشعار وغيرهما، ثم نظر وتأمل في آيات القرآن العظيم، يرى تفاوتا فاحشا في ذلك بينهما، ويعترف بأن إتيان كلام بهذه المثابة من الفصاحة والبلاغة خارج عن طوق البشر، وكيف لا وقد اعترف رجال الفصاحة، وفرسان البلاغة، في عصره صلى الله عليه وآله وبعده، بأن القرآن ليس من سنخ كلام المخلوق.

ولتبين الحال نقول: إنه صلى الله عليه وآله قد بعث في زمان كان الغالب على أهله من العرب، الكلام الفصيح، والقول البليغ، قد جعل الله سبحانه ذلك طبعا وسجية لهم، ينشدون الخطب والأشعار الفصيحة البليغة، ويفتخرون بها، ويترفعون بشأنها، يقيمون مجالس المناشدة والمفاخرة، ويختارون كبيرا من ذوي حصافتهم وفصاحتهم، ويجعلونه حكما فيما يختلفون فيه، فينشد الخطباء خطبهم، والشعراء شعرهم، فإذا ثبت عندهم فضل خطبة، أو شعر، أو غير هما علقوها في الكعبة، ومنها المعلقات السبع المشهورة، فأتاهم النبي صلى الله عليه وآله بالقرآن الكريم الذي هو بلسان عربي مبين مستدلا به على نبوته، وقال: يا معشر

العرب، إن الله عز وجل قد بعثني إليكم رسولا، وأنزل على كتابا هو آيتي ودليلي على صحة ما أقول، فإن كنتم مرتا بين في نبوتي، وأن هذا الكتاب الذي أتيتكم به من عند الله تعالى فأتوا بمثله، فإنه قد نزل بلسانكم ولغتكم، وأنتم الفصحاء والبلغاء، واستظهروا في ذلك بأترابكم وأمثالكم، ولم يزل يقرعهم أشد التقريع بما في القرآن العظيم، تارة بقوله عز وجل: " أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا إنما أنزل بعلم الله " (١) وأخرى بقوله عز من قائل: " أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله و ادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين " (٢) وقوله عز اسمه: " وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين " (٣) وثالثة بقوله جل شأنه: " أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين " (٤) ورابعة بقوله تبارك اسمه: " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " (٥) وهم في كل ذلك ناكصون عن معارضته، مدهشون عن فصاحته وبلاغته، والهون من حلاوته وطلاوته، حيارى في أمره وشأنه، فأيسوا من المعارضة، واضطروا في تكذيبه صلى الله عليه وآله ورده وصد الناس عن إجابة دعوته، إلى التشبث بأمور واهية،

---

١ - سورة هود، آية ١٣ - ١٤.
٢ - سورة يونس، آية ٣٨.
٣ - سورة البقرة، آية ٢٣ - ٢٤.
٤ - سورة الطور، آية ٣٣ - ٣٤.
٥ - سورة بني إسرائيل، آية ٨٨.

كالغريق الذي يتشبث بكل حشيش، فتارة قالوا: إن محمدا (صلى الله عليه وآله) تعلم القرآن من بشر، فرد الله عز وجل عليهم بقوله: " ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي (١) وهذا لسان عربي مبين " (٢) يعني أن لغة البشر الذي ينسبون إليه التعليم ويميلون القول إليه أعجمية غير فصيحه، (٣) وهذا القرآن قد نزل بلسان عربي مبين، وإذا كان فصحاء العرب وبلغائهم عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن، مع أنه بلسانهم ولغتهم وهم في غاية الفصاحة والبلاغة، فكيف يمكن للأعجمي الغير الفصيح أن يأتي بمثله حتى يتعلم منه.

وأخرى قالوا: لو نشاء لقلنا مثل هذا، كما ورد في القرآن الكريم: " وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين " (٤) وهو ادعاء مع العجز، إذ لو كان الإتيان بمثله في قدرتهم وتحت سلطتهم وإرادتهم لأتوا به مع

تلك التقريعات الشديدة التي منها قوله عز وجل: ولن تفعلوا، فما فعلوا وما قدروا، مع أنهم شاؤوا أن يفعلوا. وثالثة قالوا كما في القرآن: " لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون " (١) أي عارضوه باللغو والباطل عند قراءته (صلى الله عليه وآله) القرآن، حتى لا يسمع الآخرون كلامه، وهل يتوسل باللغو والباطل في مقام المعارضة والاحتجاج إلا العاجز. ورابعة قالوا: إنه سحر، وغير ذلك من الأقوال الفاسدة الكاسدة، كقولهم في حقه صلى الله عليه وآله: إنه كاهن، أو مجنون، أو شاعر، التي قد أقر شيوخهم ورؤسائهم في هذه الصناعة ببطلانها واعترف المتقدم منهم والمتأخر بأن كلام محمد صلى الله عليه وآله (أي القرآن) ما هو من كلام الإنس والجن، أوليس من جنس كلام البشر.

فقد ورد: أن الوليد بن المغيرة - وهو المقدم في قريش فصاحة، وكان يقال له ريحانة قريش، ويقال له الوحيد، أي في الشرف والسؤدد والجاه والرئاسة (٢) - اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيا واحدا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قولكم بعضه بعضا، قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقول به، قال: بل أنتم فقولوا أسمع قالوا نقول: كاهن، قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزة

الكاهن ولا سجعه، (١) قالوا فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، (٢) ولا تخالجه، (٣) ولا وسوسته، (٤) قالوا فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله: رجزه، وهزجه، وقريضه، ومقبوضه، (٥) ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم، (٦) قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة، (٧) وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن

أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر، جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء و عشيرته، فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره. (١)
وورد أيضا: أنه (أي الوليد المتقدم ذكره) جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: اقرأ علي، فقرأ عليه: " إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون " (٢) فقال: أعد، فأعاد، فقال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، (٣) [و] إن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمعذق، وما يقول هذا بشر. (٤) وفي رواية: إن النبي صلى الله عليه وآله لما أنزل عليه " حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب " (٥) قام إلى المسجد، والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته، فلما فطن النبي صلى الله عليه وآله لاستماعه لقراءته، أعاد قراءة الآية، فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم، فقال: والله لقد سمعت من محمد (صلى الله عليه وآله) آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له

لحلاوة،.... وإنه ليعلو وما يعلى، ثم انصرف إلى منزله، فقال قريش: صبأ والله الوليد، (١) والله لتصبأن قريش كلهم.... فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه، فانطلق فقعد إلى جنب الوليد حزينا، فقال لي [له - ظ]: ما لي أراك حزينا يا بن أخي، قال: هذه قريش يعيبونك على كبر سنك، ويزعمون أنك زينت كلام محمد، (صلى الله عليه وآله) فقام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه، فقال: أتزعمون أن محمدا (صلى الله عليه وآله) مجنون، فهل رأيتموه يخنق قط؟ فقالوا: اللهم لا، قال: أتزعمون أنه كاهن، فهل رأيتم عليه شيئا من ذلك؟ قالوا: اللهم لا، قال: أتزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه أنه ينطق بشعر قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: أتزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه شيئا من الكذب؟ فقالوا: اللهم لا، وكان يسمى الصادق الأمين قبل النبوة من صدقه، فقالت قريش للوليد: فما هو؟ فتفكر في نفسه ثم نظر وعبس، فقال: ما هو إلا ساحر، ما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله، وولده ومواليه، فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر. (٢)

وورد أيضا: عن هشام بن الحكم أنه قال: اجتمع ابن أبي العوجاء، و أبو شاكر الديصاني الزنديق، وعبد الملك البصري، وابن المقفع (١) عند بيت الله الحرام، يستهزؤن بالحاج، ويطعنون بالقرآن، فقال ابن أبي العوجاء: تعالوا ننقض كل واحد منا ربع القرآن، وميعادنا من قابل في هذا

الموضع، نجتمع فيه وقد نقضنا القرآن كله، فإن في نقض القرآن إبطال نبوة محمد، (صلى الله عليه وآله) وفي إبطال نبوته إبطال الإسلام وإثبات ما نحن فيه، فاتفقوا على ذلك وافترقوا، فلما كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام، فقال ابن أبي العوجاء: أما أنا فمفكر منذ افترقنا في هذه الآية " فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا " (١) فما أقدر أن أضم إليها في فصاحتها وجميع معانيها [شيئا]، فشغلتني هذه الآية عن التفكر فيما سواها، فقال عبد الملك: وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب " (٢) ولم أقدر على الإتيان بمثلها، فقال أبو شاكر: وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا " (٣) لم أقدر على الإتيان بمثلها، فقال ابن المقفع: يا قوم إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية " وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين " (٤)

لم أبلغ غاية المعرفة بها، ولم أقدر على الإتيان بمثلها، قال هشام بن الحكم: فبيناهم في ذلك، إذ مر بهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فقال: " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، الآية " (١) فنظر القوم بعضهم إلى بعض، وقالوا: لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهت [أمر - خ ل] وصية محمد صلى الله عليه وآله إلا إلى جعفر بن محمد، والله ما رأيناه قط إلا هبناه، واقشعرت جلودنا لهيبته، ثم تفرقوا مقرين بالعجز. (٢)

وحكى أبو عبيدة (٣): إن أعرابيا سمع رجلا يقرأ " فاصدع بما تؤمر " (٤) فسجد، وقال: سجدت لفصاحته. وسمع آخر رجلا يقرأ " فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا " (٥) فقال: أشهد أن مخلوقا لا يقدر

على مثل هذا الكلام. (١)
وحكى الأصمعي: أنه سمع جارية تتكلم بعبارة فصيحة وإشارة بليغة وهي خماسية أو سداسية، وهي تقول: استغفر الله من ذنوبي كلها، فقال لها: مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم، فقالت: أستغفر الله لذنبي كله - الأبيات، فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك، فقالت: أو يعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى: " وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه، الآية " (٢) فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين (٣).
وبالجملة: فعجز الفصحاء والبلغاء - من العرب وغيره - عن الإتيان بمثله أمر ثابت، واعتراف عظمائهم وكبرائهم بذلك، و تصريحهم بأن القرآن بلغ في الفصاحة والبلاغة إلى حد لن تناله يد المخلوق، معلوم بالنقل المتواتر، وكلماتهم وأقوالهم في هذا الباب مضبوطة في الدفاتر، غاية الأمر أن منهم من جحد الحق عنادا وكبرا كالوليد المتقدم وأضرابه ممن تعامى عن الحق بعد أن أبصر وأدرك، وقد قال تعالى في حق أمثالهم: " وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا " (٤) ومنهم من اهتدى به وآمن، كلبيد الشاعر صاحب

إحدى المعلقات السبع المشهورة، (١) والنابغة الجعدي، (٢) وحسان بن ثابت، (٣) وسحبان وائل الذي يضرب به المثل في الفصاحة، (٤) وغيرهم

من رجال الشعر والأدب.
وأنت إذا نظرت في قوله عز من قائل: " ولكم في القصاص حياة " (١) وقسمت بينه وبين أحسن ما صدر من أئمة الفصاحة في هذا المعنى، وهو قولهم: القتل أنفى للقتل، وتدبرت في الآيات السابقة، وفي قوله عز

اسمه في وصف الجنة: " فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين " (١) وقوله سبحانه: " كلوا واشربوا ولا تسرفوا " (٢) وقوله تعالى: " فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا، الآية " (٣) وأشباهها من

الآيات، ظهر لك أن كل واحدة منها مع بديع ألفاظها، وحسن تأليفها، وإيجازها، مشتملة على معان كثيرة، وعلوم جمة، بحيث لو شرح ما اندرج فيها لملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها، وقطعت بالضرورة أن فصاحة القرآن وبلاغته خارقة للعادة، وأنه كلام الله عز وجل.

ومنها نظمه العجيب، وأسلوبه الغريب المؤثر في القلوب تأثيرا لا يمكن إنكاره لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ومن تأمل في أساليب كلام العرب، نثره، ونظمه، وسجعه، ورجزه، وشعره، لم يجد فيها نظما وأسلوبا سنخ نظمه وأسلوبه، وقد حارت فيه عقولهم، وتبلدت أحلامهم، (١) وأثر فيهم تأثيرا بعد أن سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله

آياته ففي الأثر: أن أشراف قريش اجتمعوا، وقالوا: ابعثوا إلى محمد (صلى الله عليه وآله) حتى تعدوا فيه، فقالوا: أنظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه و لينظر ماذا يريد، فقالوا: لا نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة، فقال عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا بن أخي إنك منا

حيث قد علمت من السلطة [السطة - ظ (٢)] في العشيرة، والمكان في النسب

وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به
أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم،
فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضا، فقال رسول
الله صلى الله عليه وآله، قل يا أبا الوليد، أسمع، فقال: يا بن أخي إن كنت تريد
بما جئت به من هذا الأمر ما لا جمعنا [لك] من أموالنا حتى تكون
أكثرنا مالا، وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا تقطع أمرا
دونك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك
رئيا (١) من الجن تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا
فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع (٢) على الرجل
حتى يداون، (٣) حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وآله يسمع منه، قال:
أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال:
افعل، قال صلى الله عليه وآله: " بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن
الرحيم كتاب فصلت آياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا
فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون " (٤) ثم مضى رسول الله صلى الله على وآله فيها،
فقرأها عليه وقد أنصت عتبة لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما
يسمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قوله تعالى: " فإن اعرضوا

فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود " (١) فأمسك عتبة على فيه صلى الله عليه وآله، وناشده الرحم أن يكف عن ذلك، ثم انتهى إلى السجدة فيها فسجد، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض يحلف: لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا له: ما وراءك يا أبا الوليد، قال: ورائي إني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني فاجعلوها لي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم، وفي رواية: إن عتبة لما قام من عند النبي صلى الله عليه وآله أبعد عنهم ولم يعد عليهم، فقال أبو جهل: والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد (صلى الله عليه وآله) وأعجبه كلامه، فانطلقوا بنا إليه، فأتوه، فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما جئناك إلا أنك قد صبوت إلى محمد (صلى الله عليه وآله) وأعجبك أمره، فقص عليهم القصة، فقال: والذي نصبها بنية، يعني الكعبة، ما فهمت شيئا مما قال، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، فأمسكت بفيه فأنشدته الرحم أن يكف، وقد علمت أن محمدا (صلى الله عليه وآله) إذا قال شيئا لم يكذب، فخفت أن ينزل عليكم العذاب، فقالوا له: ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال، قال: والله ما سمعت مثله، والله ما هو بالشعر إلى آخر ما تقدم،

---

١ - سورة فصلت، آية ١٣.

فقالوا. والله سحرك يا أبا الوليد، قال: هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم. (١)
وفيه أيضا: إن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا. فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه. فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون، له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا الخ. (٢)
وفيه أيضا: إن الطفيل بن عمر الدوسي قدم مكة، ورسول الله صلى الله عليه وآله بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا، فقالوا له: يا طفيل إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر: يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين

الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئا، قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا، ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا فرقا من أن يبلغني شئ من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه، قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله قائم يصلي عند الكعبة، قال: فقمت منه قريبا، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، قال: فسمعت كلاما حسنا، قال: فقلت في نفسي: واثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته، وإن كان قبيحا تركته، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد (صلى الله عليه وآله) إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف، لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعته قولا حسنا، فاعرض على أمرك، قال: فعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله الإسلام، وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه، ولا أمرا أعدل منه، قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، الخ.

وفيه أيضا: أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بمكة، عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى، حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش

في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله صلى الله عليه وآله عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الله عز وجل، وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به و صدقوه، الخ. (١)

وفيه أيضا: عن جبير بن مطعم - وكان من حلماء قريش و ساداتهم، وكان يؤخذ عنه النسب - إنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله لأكلمه في أسارى بدر، فوافقته وهو يصلي بأصحابه المغرب أو العشاء، فسمعته وهو يقرأ، وقد خرج صوته من المسجد " إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع " (٢) قال: فكأنما صدع قلبي. وفي نقل آخر، قال: فسمعته يقرأ أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون " (٣) فكاد قلبي يطير، الخ. (٤)

وفيه أيضا: إن قيس بن نشبه السلمي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد الخندق، فقال: إني رسول من وراء قومي، وهم لي مطيعون، وإني سائلك عن مسائل لا يعلمها إلا من يوحى إليه، فسأله عن السماوات السبع وسكانها، وما طعامهم وما شرابهم، فذكر له السماوات السبع والملائكة وعبادتهم، وذكر له الأرض وما فيها، فأسلم ورجع إلى قومه، فقال: يا بني سليم قد سمعت ترحمة الروم وفارس، وأشعار العرب والكهان، ومقاول حمير، وما كلام محمد (صلى الله عليه وآله) يشبه شيئا من

كلامهم، فأطيعوني في محمد، فإنكم أخواله، فإن ظفر تنتفعوا به، وتسعدوا، وإن تكن الأخرى فإن العرب لا تقدم عليكم، فقد دخلت عليه وقلبي عليه أقسى من الحجر، فما برحت حتى لأن بكلامه. (١)
ونظائر ما ذكر في التواريخ والسير كثيرة، وفيما نقلناه كفاية بعد قوله عز من قائل. " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله " (٢) وقوله عز وجل: " تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله " (٣).
ومنها اشتماله على قصص الأنبياء السالفة، والأمم الماضية، و الشرائع السابقة، مما كان العلم ببعضها دون جميعها في عصره صلى الله عليه وآله مختصا بأحبار أهل الكتاب وعلمائهم الذين صرفوا عمرهم في تعلمه، فأوردها على وجهها، وأتى بها على نصها من دون زيادة ونقصان، مع أنه صلى الله عليه وآله كان أميا لم يقرأ كتابا، ولم يخط خطا، ولم يختلف إلى عالم ليتعلم منه، ولا سافر إلى بلد لأجل التعلم، قبل دعوى نبوته، وقد علم بذلك الكفار والمشركون وغيرهم من أهل مكة، لأنه صلى الله عليه وآله نشأ بينهم من صغره إلى زمن بعثته، كان بمرأى منهم ومسمع، يعرفون حاله في سفره وحضره، ولما كان أمره صلى الله عليه وآله قبل بعثته بهذه المثابة من الوضوح عندهم، رد الله عز وجل قول بعض الجهلة منهم: وهو أن محمدا (صلى الله عليه وآله) تعلم هذه القصص وغيرها مما ورد في القرآن من أهل الكتاب، أو اكتتبها من كتبهم، بقوله عز من قائل: " وما كنت تتلو من قبله

---

١ - الإصابة لابن حجر، ج ٣، ص ٢٤٩ - ٢٥٠.
٢ - سورة الحشر، آية ٢١.
٣ - سورة الزمر، آية ٢٣.

من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون " (١) وقوله عز اسمه: " قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون " (٢) وكان الكفار والمشركون إذا سمعوا منه قصة من أخبار الأنبياء أو الأمم السابقة يرسلون بعضهم إلى علماء اليهود والنصارى يسألونهم عن صحتها، فيجدون الأمر كما أخبر به صلى الله عليه وآله، وكثيرا ما كان أهل الكتاب يسئلونه عن مثل هذه الأمور، وعما ورد في التوراة والإنجيل والزبور والصحف، فينزل الله سبحانه عليه صلى الله عليه وآله من القرآن في جوابهم ما يتلو عليهم، كأخبار الأنبياء مع قومهم وأممهم، وقصة ابني آدم، ونوح وابنه، ويوسف وإخوته، وموسى والخضر، ومريم وعيسى، وذي القرنين، وأصحاب الكهف، وأشباههم، وعن الروح، وما حرم إسرائيل على نفسه، وما حرم على بني إسرائيل من الأنعام، وما كان حلالا عليهم من الطيبات فحرم عليهم ببغيهم، إلى غير ذلك من الموارد التي سئلوه صلى الله عليه وآله تعنتا واختبارا، وقد بين لهم كثيرا مما ورد في كتبهم وكانوا يخفونه عن الناس، كحكم الرجم، (٣) وصفاته صلى الله عليه وآله ونعوته وغيرها المذكورة في التوراة، وبشارة

عيسى عليه السلام بمجيئه بعده، والتصريح باسمه صلى الله عليه وآله في الإنجيل، فلم يتمكن أحد منهم مع شدة عنادهم وعداوتهم له، وحرصهم على تكذيبه، أن يردوا شيئا مما أخبر به صلى الله عليه وآله، بل أذعنوا بصدقه، واعترف

المنصف منهم بصحة نبوته ورسالته، ومن جادله وادعى أن ما أخبر به صلى الله عليه وآله مخالف لما ورد في كتبهم، دعاه صلى الله عليه وآله إلى الإتيان بها و
قراءتها، لإقامة حجته وصدق مقالته، كما أمره الله تعالى بقوله عز من قائل: " قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين " (١) فبهت ولم يجترئ على الإتيان بها، لما فيه من فضيحته وظهور كذبه.
ومنها إخباره بالمغيبات التي لا علم لأحد بها إلا بوحي من الله عز وجل، والآيات الدالة على ذلك في القرآن كثيرة، فمنها ما ورد في كشف أسرار الكفار والمنافقين وغيرهم والإخبار عما في ضمائرهم، كقوله تعالى في حق اليهود: " وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم، الآية " (٢) وقوله سبحانه: " وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون (٣) " وقوله عز وجل: " وإذا

لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ " (١)
وأمثالها، وقوله عز اسمه في حق المنافقين: " ويحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إيمانهم وهموا بما لم ينالوا " (٢) وقوله:
" قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم " (٣) وقوله:

" وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون " (١)
ونظائرها. ومنها ما أنبأ به عن الأمور المستقبلة التي لم تكن لها في
الخارج عين ولا أثر، فوقعت بعد على الوجه الذي أخبر به، كالإخبار
بأن أبي لهب يموت على كفره، (٢) وبعدم تمكن المخالفين على الإتيان
بمثل القرآن بل بمثل سورة منه، (٣) وبمغلوبية الكفار مع كثرتهم
وقوتهم، وغلبة النبي صلى الله عليه وآله عليهم مع قلة أصحابه وأعوانه، (٤) وبظفر
المسلمين على كفار قريش في غزوة بدر، (٥) وبعدم تمني اليهود الموت

أبدا، مع قولهم بأنه لا يدخل الجنة غيرنا، (١) وبعود النبي صلى الله عليه وآله إلى مكة، (٢) وببقاء ذكره وشرعه إلى يوم القيامة، وغلبة دينه على ساير الأديان، مع سعي مخالفيه على إطفاء نوره، (٣) وبغلبة الروم على فارس بعد مغلوبيتهم، (٤) وبأخذ المسلمين مغانم كثيرة من الكفار، (٥) وبدخول النبي صلى الله عليه وآله مع أصحابه في المسجد الحرام آمنين، (٦) إلى غير ذلك من الموارد.

ومنها اشتماله على العلوم والمعارف الربانية، كمعرفته تعالى، وتوحيده ونفي الشريك عنه، ومعرفة صفاته الجمالية والجلالية، و معرفة ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والتنبيه على طرق الحجج والاستدلال والرد على فرق أهل الباطل والضلال بأدلة واضحة موجزة، كآيات الآفاق والأنفس، (١) وكقوله سبحانه " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا " (٢) وقوله عز وجل في رد من أنكر المعاد، وقال: " من يحيي العظام وهي رميم: قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم " (٣) وقوله: " أوليس الذي خلق السماوات والأرض

بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم " (١) وغيرها من الآيات الدالة على ذلك. وكذا احتواؤه على بيان الأخلاق الكريمة ومحاسن الآداب والشيم المرضية، كأمره بالعدل والاحسان، والتراحم والتعاطف، والأخوة والمواسات، والتآلف والتواضع، والصدق وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد والوعد، وغيرها من الصفات الحميدة، ونهيه عن الظلم والعدوان، والبخل والحسد، والكبر والنفاق، والكذب والغيبة والنميمة والخيانة، وأشباهها من رذائل الأخلاق. وكذا حثه على الإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد لها، والتجافي عن دار الغرور، والإعلام بمعايبها، وغدرها بأهلها، وسرعة فنائها وزوالها، وما يؤول إليه أمر الراغبين فيها، من الحسرة والوبال، والعذاب والنكال.

وكذا ما فيه من القوانين والأحكام المقررة للعباد معاشا ومعادا - من العبادات والمعاملات والسياسات - المشتملة على المصالح النوعية والشخصية، المتكفلة لحفظ النواميس الإلهية والبشرية على الوجه الأكمل والنظام الأتقن بحيث لو عمل بها على حدودها وموازينها لما وقع فساد في بني آدم، وانتظم أمر العالم، إلى غير ذلك من العلوم التي لم يكن للعرب وغيرهم - قبل نزول القرآن - طريق إلى معرفتها، بل ولا أحد من علماء الأمم يحيط بها، ولم يوجد في كتب الأنبياء السابقين مثلها

تعقيب: لا يخفى أن استقصاء وجوه إعجاز القرآن الكريم، والاستيفاء بحقه من توصيف عظمته وعلو شأنه، وبيان ما فيه العلوم والمعاني، والمواعظ والأمثال والحكم، والدقائق واللطائف والخواص

---

١ - سورة يس، آية ٨١.

خارج عن عهدة غير أهل بيت الوحي والرسالة، وكيف لا وهو كلام الله المجيد، وفرقانه الحميد، الذي قال عز من قائل في وصفه: " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين " (١) وقال: " يا أيها الناس قد جاء كم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا " (٢) وقال: " قد جاء كم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم " (٣) وقال: " فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون " (٤) وقال: " يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين " (٥) وقال: " ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل " (٦) وقال: " الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها " (٧) وقال: " قرانا عربيا غير ذي عوج " (٨) وقال: " وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " (٩).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: " أيها الناس إنكم في دار هدنة، وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، فأعدوا

---

١ - سورة النمل، آية ٨٩.
٢ - سورة النساء، آية ٧٤.
٣ - سورة المائدة، آية ١٥ - ١٦.
٤ - سورة الأعراف، آية ١٥٧.
٥ - سورة يونس، آية ٥٧.
٦ - سورة الروم، آية ٥٨، وسورة الزمر، آية ٢٧.
٧ - سورة الزمر، آية ٢٣.
٨ - سورة الزمر، آية ٢٨.
٩ - سورة فصلت، آية ٤١ - ٤٢.

الجهاز لبعد المجاز، فقام المقداد بن الأسود فقال: يا رسول الله وما دار الهدنة؟ قال: دار بلاغ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وما حل مصدق، (١) ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل، وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم. ظاهره أنيق، (٢) وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم (٣)، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جال بصره، وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، ويتخلص من نشب، (٤) فإن التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص، وقلة التربص ". (٥)

وعن الحارث الأعور قال: مررت في المسجد، فإذا الناس
يخوضون في الأحاديث، فدخلت على علي عليه السلام، فقلت: يا أمير المؤمنين
ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم،
قال: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " ألا إنها ستكون فتنة،
فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم،
وخبر ما بعد كم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه
من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله
المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا يزيغ
به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن
كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى
قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به، (١) من قال
به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى
إلى صراط مستقيم " خذها إليك يا أعور. (٢)
وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له " ثم
أنزل عليه الكتاب نورا لا تطفأ مصابيحه، وسراجا لا يخبو توقده، وبحرا
لا يدرك قعره، ومنهاجا لا يضل نهجه، وشعاعا لا يظلم ضوءه، وفرقانا

لا يخمد برهانه، وتبيانا لا تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى أسقامه، وعزا لا تهزم أنصاره، وحقا لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافي الإسلام (١) و بنيانه، وأودية الحق وغيطانه، (٢) وبحر لا ينزفه المنتزفون، [المستنزفون - خ ل] وعيون لا ينضبها الماتحون، (٣) ومناهل لا يغيضها الواردون، (٤) ومنازل لا يضل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام [أكام - خ ل] (٥) لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله ريا لعطش العلماء، وربيعا لقلوب الفقهاء، ومحاج (٦) لطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونورا ليس معه ظلمة، وحبلا وثيقا عروته ومعقلا منيعا ذروته، (٧) وعزا لمن تولاه، وسلما لمن دخله، وهدى لمن ائتم به، وعذرا لمن انتحله، وبرهانا لمن تكلم به، وشاهدا لمن

خاصم به، وفلجا لمن حاج به، (١) وحاملا لمن حمله، ومطية لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجنة لمن استلام، (٢) وعلما لمن وعى، و حديثا لمن روى، وحكما لمن قضى ". (٣)

وقال علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: " اللهم إنك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نورا، وجعلته مهيمنا على كل كتاب أنزلته، وفضلته على كل حديث قصصته... وجعلته نورا تهتدي من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه، وشفاء لمن أنصت لفهم التصديق إلى استماعه، وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه، وعلم نجاة لا يضل من أم قصد سنته، ولا تنال أيدي الهلكات من تعلق بعروة عصمته.... اللهم إنك أنزلته على نبيك محمد (صلى الله عليه وآله) مجملا، وألهمته علم عجائبه مكملا، وورثتنا علمه مفسرا، وفضلتنا على من جهل علمه، وقويتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله، اللهم فكما جعلت قلوبنا له حملة، وعرفتنا برحمتك شرفه وفضله، فصل على محمد، الخطيب به، وعلى آله الخزان له.... اللهم صل على محمد وآله، واجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مؤنسا، ومن نزغات الشيطان وخطرات الوساوس حارسا، ولأقدمنا عن نقلها

إلى المعاصي حابسا، ولألسنتنا عن الخوض في الباطل من غير ما آفة مخرسا، ولجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجرا، ولما طوت الغفلة عنا من تصفح الاعتبار ناشرا، حتى توصل إلى قلوبنا فهم عجائبه، وزواجر أمثاله، التي ضعفت الجبال الرواسي على صلابتها عن احتماله، الخ " (١)
وقال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: " إن العزيز الجبار أنزل عليكم كتابه، وهو الصادق البار، فيه خبركم، وخبر من قبلكم، وخبر من بعدكم، وخبر السماء والأرض، ولو أتاكم من يخبر كم عن ذلك لتعجبتم " (٢).
الثالث من الأمور الدالة على نبوته صلى الله عليه وآله معجزاته الباهرة الشريفة المضبوطة في كتب الأحاديث والسير، وحيث أنها كثيرة جدا وكان بناء هذه الرسالة على الاختصار فلنقتصر بذكر نبذ يسير منها تيمنا وتبركا في فصول.
(فصل في إخباره صلى الله عليه وآله بالمغيبات) (٣)
١ - لما بلغ قريشا فعل النجاشي لجعفر وأصحابه وإكرامه إياهم كبر ذلك عليهم، وغضبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه، وأجمعوا على قتل

رسول الله صلى الله عليه وآله، وكتبوا كتابا على بني هاشم أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم
ولا يخالطوهم، وكان الذي كتب الصحيفة منصور بن عكرمة العبدري، فشلت يده، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، وقال بعضهم: بل كانت عند أم الجلاس بنت مخربة الحنظلية خالة أبي جهل، وحصروا بني هاشم في شعب أبي طالب، وانحاز بنوا المطلب بن عبد مناف إلى أبي طالب في شعبه مع بني هاشم، وخرج أبو لهب إلى قريش فظاهرهم على بني هاشم وبني المطلب، وقطعوا عنهم الميرة والمادة، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغهم الجهد، وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب، فمن قريش من سره ذلك ومنهم من ساءه وقال: انظروا منصور بن عكرمة، فأقاموا في الشعب ثلاث سنين، ثم أطلع الله رسوله على أمر صحيفتهم وإن الأرضة قد أكلت ما كان فيها من جور وظلم، و بقي ما كان فيها من ذكر الله، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي طالب، فذكر ذلك أبو طالب لإخوته وخرجوا إلى المسجد، فقال أبو طالب لكفار قريش: إن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني قط، إن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة فلحست ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم وبقي فيها كل ما ذكر به الله، فإن كان ابن أخي صادقا نزعتم عن سوء رأيكم، وإن كان كاذبا دفعته إليكم فقتلتموه أو استحييتموه، قالوا: قد أنصفتنا، فأرسلوا إلى الصحيفة ففتحوها فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فسقط في أيديهم ونكسوا على رؤسهم، فقال أبو طالب:

علام نحبس ونحصر وقد بان الأمر، ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة والكعبة، فقال: اللهم انصرنا ممن ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا، ثم انصرفوا إلى الشعب، وتلاوم رجال من قريش على ما صنعوا ببني هاشم، فيهم مطعم بن عدي، وعدي بن قيس، وزمعة بن

الأسود، وأبو البختري بن هاشم، وزهير بن أبي أمية، ولبسوا السلاح، ثم خرجوا إلى بني هاشم وبني المطلب فأمرهم بالخروج إلى مساكنهم ففعلوا، فلما رأت قريش ذلك سقط في أيديهم، وعرفوا أن لن يسلموهم (١).

٢ - إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال للعباس بن عبد المطلب حين انتهى به إلى المدينة: " يا عباس، افد نفسك وابني أخيك عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم أخا بني الحارث بن فهر، فإنك ذو مال " فقال: يا رسول الله إني كنت مسلما ولكن القوم استكرهوني، فقال: " الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك به، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا، فافد نفسك " وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخذ منه عشرين أوقية من ذهب، فقال العباس: يا رسول الله احسبها لي في فدائي، قال: " لا، ذاك شئ أعطاناه الله عز وجل منك " قال:

فإنه ليس لي مال، قال: " فأين المال الذي وضعته بمكة حيث خرجت عند أم الفضل بنت الحارث ليس معكما أحد، ثم قلت لها: إن أصبت في سفري هذا فللفضل كذا وكذا، ولعبد الله كذا وكذا، ولقثم كذا وكذا، ولعبيد الله كذا وكذا " قال: والذي بعثك بالحق ما علم هذا أحد غيري وغيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله، ففدى العباس نفسه وابني أخيه وحليفه. (١)

٣ - جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش في الحجر بيسير، وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو [وهم - ظ] بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر، فذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان: والله إن في العيش بعدهم خير، قال له عمير صدقت والله، أما والله لولا دين على ليس له عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد

(صلى الله عليه وآله) حتى أقتله، فإن لي قبلهم علة، ابني أسير في أيديهم، فاغتنمها صفوان، وقال: على دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شئ ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم شأني وشأنك، قال: أفعل، ثم أمر عمير بسيفه، فشحذ له وسم، (١) ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينا عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب، حين أناخ على باب المسجد متوشحا السيف، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، والله ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر، (٢) ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله

فقال يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه، (٣) قال: " فأدخله على " قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها، (٤) وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله،

وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه، قال: " أرسله يا عمر، أدن يا عمير " فدنا ثم قال: أنعموا صباحا، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: " قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة " فقال أما والله يا محمد، إن كنت بها لحديث عهد،

قال: فما جاء بك يا عمير "؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، فأحسنوا فيه، قال: " فما بال السيف في عنقك "؟ قال قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئا؟ قال: " أصدقني، ما الذي جئت له "؟ قال: ما جئت إلا لذلك، قال: " بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين على وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدا، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك " قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله،: " فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره " ففعلوا، ثم قال: يا رسول الله، إني كنت جاهدا على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله تعالى وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله، فلحق بمكة، و كان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبدا ولا ينفعه بنفع أبدا، فلما قدم عمير مكة، أقام بها يدعوا إلى الإسلام، ويؤذي

من خالفه أذى شديدا، فأسلم على يديه ناس كثير. (١).
٤ - إن النبي صلى الله عليه وآله لما أراد فتح مكة سأل الله جل اسمه أن يعمي أخباره على قريش ليدخلها بغتة، وكان صلى الله عليه وآله قد بنى الأمر في مسيره إليها على الاستسرار بذلك، فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بعزيمة رسول الله صلى الله عليه وآله على فتحها، وأعطى الكتاب امرأة سوداء كانت ورد المدينة تستميح بها الناس (٢) وتستبرهم، وجعل لها جعلا على أن توصله إلى قوم سماهم لها من أهل مكة، وأمرها أن تأخذ على غير الطريق، فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، فاستدعى رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام، وقال له: " إن بعض أصحابي قد كتب إلى أهل مكة يخبرهم بخبرنا، وقد كنت سألت الله عز وجل أن يعمي أخبارنا عليهم، والكتاب مع امرأة سوداء قد أخذت على غير الطريق، فخذ سيفك والحقها، وانتزع الكتاب منها وخلها، وصر به إلى " ثم استدعى

الزبير بن العوام، وقال له: " امض مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) في هذا الوجه " فمضيا وأخذا على غير الطريق، فأدركا المرأة، فسبق إليها الزبير، فسألها عن الكتاب الذي معها، فأنكرته وحلفت أنه لا شئ معها وبكت، فقال الزبير: ما أرى يا أبا الحسن معها كتابا، فارجع بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لنخبره ببراءة ساحتها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام:

يخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن معها كتابا ويأمرني بأخذه منها، وتقول أنت إنه لا كتاب معها، ثم اخترط السيف (١) وتقدم إليها، فقال: أما والله لئن لم تخرجي الكتاب لأكشفنك، ثم لأضربن عنقك، فقالت له: إذا كان لا بد من ذلك فأعرض يا بن أبي طالب بوجهك عني، فأعرض بوجهه عنها، فكشفت قناعها، وأخرجت الكتاب من عقيصتها، (٢) فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام وصار به إلى النبي صلى الله عليه وآله، فأمر أن ينادي بالصلاة جامعة، فنودي في الناس، فاجتمعوا إلى المسجد حتى امتلأ بهم، ثم صعد النبي صلى الله عليه وآله المنبر، وأخذ الكتاب بيده، وقال: " أيها الناس إني كنت سألت الله عز وجل أن يخفي أخبارنا عن قريش، وإن رجلا منكم كتب إلى أهل مكة يخبرهم بخبرنا، فليقم صاحب الكتاب. وإلا فضحه الوحي " فلم يقم أحد، فأعاد رسول الله صلى الله عليه وآله مقالته ثانية وقال: " ليقم صاحب الكتاب، وإلا فضحه الوحي " فقام حاطب بن أبي بلتعة وهو يرعد كالسعفة في يوم الريح العاصف، (٣) فقال: أنا يا رسول الله صاحب الكتاب، وما أحدثت نفاقا بعد إسلامي، ولا شكا بعد يقيني، فقال له

النبي صلى الله عليه وآله: " فما الذي حملك على أن كتبت هذا الكتاب "؟ قال: يا رسول الله، إن لي أهلا بمكة وليس لي بها عشيرة، فأشفقت أن يكون الدائرة لهم علينا، فيكون كتابي هذا كفا لهم عن أهلي، ويدا لي عندهم، ولم أفعل ذلك لشك مني في الدين، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله مرني بقتله فإنه منافق، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: " إنه من أهل بدر، ولعل الله اطلع عليهم فغفر لهم، أجرجوه من المسجد " قال: فجعل الناس يدفعون في ظهره حتى أخرجوه وهو يلتفت إلى النبي صلى الله عليه وآله ليرق عليه، [به - خ ل] فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله برده، وقال له: " قد عفوت عنك وعن جرمك، فاستغفر ربك، ولا تعد بمثل ما جنيت [لمثل ما جئت - خ ل] ". (١)

٥ - كتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى كسرى ملك فارس: " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام

على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله فإني
أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على
الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك " فلما قرأه
مزقه، وقال: يكتب إلي هذا وهو عبدي، ثم كتب كسرى إلى باذان
وهو على اليمن: أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من
عندك جلدين فليأتياني به، فبعث باذان قهرمانه وهو بابويه، وكان
كاتبا حاسبا بكتاب فارس، وبعث معه رجلا من الفرس يقال له
خرخسرة، وكتب معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يأمره أن ينصرف معهما
إلى
كسرى، وقال لبابويه: إئت بلد هذا الرجل، وكلمه وائتني بخبره.
فخرجا حتى قدما الطائف، فوجدا رجالا من قريش بنخب من أرض
الطائف، فسألاهم عنه، فقالوا: هو بالمدينة، واستبشروا بهما وفرحوا،
وقال بعضهم لبعض: أبشروا، فقد نصب له كسرى ملك الملوك، كفيتم
الرجل، فخرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وآله، فكلمه بابويه، فقال:
إن شاهان شاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذان
يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك لتنطلق معي،
فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك، وإن أبيت
فهو من قد علمت، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك، ودخلا
على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما، فكره النظر
إليهما، ثم أقبل عليهما، فقال: " ويلكما من أمركما بهذا " قالا: أمرنا
بهذا ربنا، يعنيان كسرى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: " لكن ربي قد أمرني
بإعفاء لحيتي وقص شاربي " ثم قال لهما: " ارجعا حتى تأتياني

غدا " وأتى رسول الله صلى الله عليه وآله الخبر من السماء، أن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه، فقتله في شهر كذا وكذا، ليلة كذا وكذا من الليل، بعدما مضى من الليل سلط عليه ابنه شيرويه فقتله، (١) فدعاهما فأخبرهما، فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا، أفنكتب هذا عنك ونخبره الملك؟ قال: " نعم، أخبراه ذلك عني، وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى، وينتهي إلى منتهى الخف، والحافر، وقولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملكتك على قومك من الأبناء " ثم أعطي خرخسرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك، فخرجا من عنده حتى قدما على بأذان فأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبينا كما يقول، ولننظرن ما قد قال، فلئن كان هذا حقا، ما فيه كلام إنه لنبي مرسل، وإن لم يكن فنرى فيه رأينا، فلم ينشب (٢) باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه: أما بعد فإني قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضبا لفارس، لما كان استحل من قتل أشرافهم، وتجميرهم في ثغورهم (٣)، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه إليك، فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه، فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال: إن هذا

الرجل لرسول، فأسلم وأسلمت الأبناء معه من فارس من كان منهم
باليمن، فكانت حمير تقول لخرخسرة: ذو المعجزة، للمنطقة التي أعطاه
إياها رسول الله صلى الله عليه وآله، والمنقطة بلسان حمير: المعجزة: فبنوة اليوم
ينسبون إليها خرخسرة ذو المعجزة، وقد قال بابويه لباذان، ما كلمت
رجلا قط أهيب عندي منه، فقال له بأذان: هل معه شرط؟ قال لا. (١)
٦ - لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة،
طرقت ماء الحوأب، وهو ماء لبني عامر بن صعصعة، فنبحتهم الكلاب،
فنفرت صعاب إبلهم، فقال قائل منهم: لعن الله الحوأب فما أكثر كلابها،
فلما سمعت عائشة ذكر الحوأب قالت: أهذا ماء الحوأب؟ قالوا: نعم،
فقالت: ردوني ردوني، فسألوها ما شأنها؟ ما بدا لها؟ فقالت: إني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " كأني بكلاب ماء يدعى الحوأب قد نبحت
بعض نسائي " ثم قال لي: " إياك يا حميراء أن تكونيها " فقال لها
الزبير: مهلا يرحمك الله، فإنا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة،
فقالت: أعندك من يشهد بأن هذه الكلاب النابحة ليست على ماء

الحوأب؟ فلفق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابيا جعلا لهم جعلا، فحلفوا لها وشهدوا أن هذا الماء ليست بماء الحوأب، فكانت أول شهادة زور في الإسلام، فسارت عائشة لوجهها. وعن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوما لنسائه وهن عنده جميعا: " ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب (١) تنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة كلهم في النار وتنجو بعد ما كادت " (٢).

٧ - برز علي عليه السلام (في حرب الجمل) بين الصفين حاسرا وقال: ليبرز إلى الزبير، فبرز إليه مدججا، (١) فقيل لعائشة: قد برز الزبير إلى علي عليه السلام، فصاحت وا زبيراه، فقيل لها: لا بأس عليه منه، إنه حاسر، والزبير دارع، فقال له: ما حملك يا أبا عبد الله على ما صنعت؟ قال: أطلب بدم

عثمان، قال: أنت وطلحة وليتماه، وإنما نوبتك من ذلك أن تقيد به نفسك وتسلما إلى ورثته، ثم قال: نشدتك الله، أتذكر يوم مررت بي ورسول الله صلى الله عليه وآله متكئ على يدك، وهو جاء من بني عمرو بن عوف، فسلم على وضحك في وجهي، فضحكت إليه، لم أزده على ذلك، فقلت: لا يترك ابن أبي طالب يا رسول الله زهوه، (١) فقال لك: " مه أنه ليس بذي زهو، أما إنك ستقاتله وأنت له ظالم "؟ فاسترجع الزبير وقال: لقد كان ذلك ولكن الدهر أنسانيه. فرجع. وفي نقل آخر: فقال له علي عليه السلام إنما دعوتك لأذكرك حديثا قاله لي ولك رسول الله صلى الله عليه وآله، أتذكر يوم رآك وأنت معتنقي، فقال لك: " أتحبه "؟ قلت: وما لي لا أحبه وهو أخي وابن خالي، فقال: " أما إنك ستحاربه وأنت ظالم له " فاسترجع الزبير، وقال: أذكرتني ما أنسانيه الدهر، ورجع إلى صفوفه، فقال له عبد الله ابنه: لقد رجعت إلينا بغير الوجه الذي فارقتنا به. فقال: أذكرني على حديثا أنسانيه الدهر، فلا أحاربه أبدا، وإني لراجع وتارككم منذ اليوم، فقال له عبد الله: ما أراك إلا جبنت عن سيوف بني عبد المطلب، إنها لسيوف حداد، تحملها فتية أنجاد، فقال الزبير: ويلك، أتهيجني على حربه؟ أما أني قد حلفت أن لا أحاربه، قال: كفر عن يمينك، لا تتحدث نساء قريش أنك جبنت وما كنت جبانا، فقال الزبير: غلامي مكحول حر كفارة عن يميني، ثم أنصل (٢) سنان رمحه وحمل على عسكر علي عليه السلام برمح لا سنان له، فقال علي عليه السلام: أفرجوا له فإنه مخرج، ثم عاد إلى أصحابه، ثم حمل ثانية، ثم ثالثة،

ثم قال لابنه: أجبنا ويلك ترى؟ فقال: لقد أعذرت. (١)
٨ - إن رسول الله صلى الله عليه وآله ضلت ناقته في مسيره إلى تبوك، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله صلى الله عليه وآله رجل من أصحابه يقال له عمارة بن حزم، وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي، وكان منافقا، فقال زيد بن اللصيت: وهو في رحل عمارة، وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وآله: أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وعمارة عنده: " إن رجلا قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أن ناقته؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله،

وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بها " فذهبوا فجاؤوا بها، فرجع عمارة بن حزم إلى رحله، فقال. والله لعجب من شئ حدثناه رسول الله صلى الله عليه وآله آنفا عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا - للذي قال زيد بن لصيت - فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وآله:

زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي، فأقبل عمارة على زيد وجأ في عنقه (١) ويقول: إلى عباد الله. إن في رحلي لداهية وما أشعر، أخرج أي عدو الله من رحلي، فلا تصحبني. (٢)

أقول: الأحاديث الواردة في إخباره صلى الله عليه وآله بالمغيبات كثيرة، فمنها ما مضى ذكره، ومنها قوله صلى الله عليه وآله لعمار بن ياسر: " آخر زادك من الدنيا شربة لبن، وتقتلك الفئة الباغية " (٣) فقتله أصحاب معاوية

بصفين، وقبل موته دعا بشربة، فأتي بلبن، فشربه وبارز حتى قتل.

وقوله صلى الله عليه وآله لأبي ذر حين وجده نائما في المسجد: " كيف تصنع إذا أخرجوك منه " الحديث (١).
وقوله صلى الله عليه وآله في حقه أيضا في مسيره إلى تبوك: " رحم الله أبا ذر،

يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده " (١) فنفاه عثمان إلى الربذة، فمات بها غريبا.

[.....]

وقوله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: " إنك أول أهل بيتي لحاقا بي " (١) فكانت أول من لحق به من أهل بيته.

وقوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: " ألا أحدثك بأشقى الناس رجلين "؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: " أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه - ووضع يده على قرنه - حتى يبل منها هذه، وأخذ بلحيته " (١) فوقع كما أخبر صلى الله عليه وآله.

وقوله صلى الله عليه وآله له عليه السلام أيضا في غزوة الحديبية (حين كتابته عليه السلام صحيفة الصلح بإملائه صلى الله عليه وآله، فكتب عليه السلام: هذا ما قاضي عليه محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) سهيل بن عمرو، فقال سهيل بن عمرو ومخاطبا للنبي صلى الله عليه وآله: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك
عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: اكتب: هذا ما قاضي عليه محمد بن عبد الله، فأبطأ عليه السلام عن كتابته وأعتذر بأن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة) : " فإن لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد " (١) فلما كان يوم صفين وكتب كاتب علي عليه السلام صحيفة الصلح: هذا ما قاضي عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب معاوية، قال عمرو بن العاص: هو أميركم، وأما أميرنا فلا، امح اسم الإمرة، فاضطر عليه السلام إلى الأمر بمحوه كما أخبر به.
وقوله صلى الله عليه وآله في حق الحسن (المجتبى) عليه السلام: " إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين " (٢) فكان كما قال صلى الله عليه وآله.

....

وقوله صلى الله عليه وآله في حق الحسين (سيد الشهداء) عليه السلام: " أخبرني جبريل: أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف، وجاءني بهذه التربة فأخبرني أن فيها مضجعه " (١) فوقع الأمر على أخبر به صلى الله عليه وآله.
وقوله صلى الله عليه وآله في حق الخوارج الذين خرجوا على علي عليه السلام: " يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية... آيتهم رجل أسود، إحدى

عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، (١) ويخرجون على خير فرقة (٢) من الناس " (٣).

...

وقوله صلى الله عليه وآله: " صنفان من أهل النار لم أرهما، (١) قوم معهم سياط

كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤسهن كأسنمة البخت المائلة، (١) لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها " (٢) إلى غير ذلك من الأمور التي أخبر صلى الله عليه وآله به فوقعت على ما أخبر.

(فضل في كفاية الله تعالى عنه صلى الله عليه وآله)
" شر الأعداء والمستهزئين به "
١ - إن أم جميل - حمالة الحطب - حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جالس في المسجد عند الكعبة و معه أبو بكر، وفي يدها فهر من حجارة (١)، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهرفاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت: مذمما عصينا (٢) - وأمره أبينا ودينه قلينا، (٣) ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني. (٤)

٢ - كان عظماء المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وآله خمسة نفر من قومهم، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم، من بني أسد بن عبد العزى: الأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد دعا عليه لما كان يبلغه
من أذاه واستهزائه به، فقال: اللهم أعم بصره وأثكله ولده ". ومن
بني زهرة بن كلاب: الأسود بن عبد يغوث. ومن بني مخزوم: الوليد بن
المغيرة. ومن بني سهم: العاص بن وائل بن هشام. ومن بني خزاعة:
الحارث بن الطلاطلة. فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وآله الاستهزاء أنزل الله تعالى عليه: " فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين

إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون " (١) فأتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جنبه، فمر به الأسود بن المطلب، فرمى في وجهه، بورقة خضراء، فعمى. ومر به الأسود بن عبد يغوث، فأشار إلى بطنه، فاستسقى (بطنه) فمات منه حبسنا (٢). ومر به الوليد بن المغيرة، فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله، كان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر سبله، (٣) وذلك أنه مر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له، (٤) فتعلق سهم من نبله بأزاره، فخدش في رجله ذلك الخدش (٥) وليس بشيء، فانتقض به، (٦) فقتله، ومر به العاص بن وائل، فأشار إلى أخمص رجله، (٧) فخرج على حمار له يريد الطائف، فربض به (٨) على شبارقة [شبرقة - خ ل] (٩) فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته. ومر به الحارث بن الطلاطلة، فأشار إلى رأسه فامتخض قيحا (١٠) فقتله (١١).

...

٣ - قدم رجل من أراش (١) بابل له مكة، فابتاعها منه أبو جهل
فمطله بأثمانها، (٢) فأقبل الاراشي حتى وقف على ناد من قريش (٣) و
رسول الله صلى الله عليه وآله في ناحية المسجد جالس، فقال: يا معشر قريش، من
رجل يؤديني (٤) على أبي الحكم بن هشام، فإني رجل غريب ابن سبيل، و
قد غلبني على حقي؟ فقال له أهل ذلك المجلس: أترى ذلك الرجل الجالس
- لرسول الله صلى الله عليه وآله وهم يهزؤون به لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من
العداوة -
اذهب إليه فإنه يؤديك عليه، فأقبل الاراشي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه
وآله
فقال: يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبله، وأنا
رجل غريب ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه،
يأخذ لي حقي منه، فأشاروا لي إليك، فخذ لي حقي منه يرحمك الله،
قال: " انطلق إليه " وقام معه رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما راوه قام معه
قالوا لرجل ممن معهم: اتبعهم فانظر ما ذا يصنع، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله
حتى جاءه فضرب عليه بابه، فقال: من هذا؟ قال: محمد، فاخرج إلي،
فخرج إليه وما في وجهه من رائحة قد انتفع لونه، (٥) فقال: " أعط هذا

الرجل حقه " قال: نعم، لا تبرح حتى أعطيه الذي له، فخرج إليه بحقه فدفعه إليه، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وقال للاراشي: " الحق بشأنك " فأقبل الاراشي حتى وقف على ذلك المجلس، فقال: جزاه الله خيرا، فقد والله أخذ لي حقي، وجاء الرجل الذي بعثوا معه، فقالوا: ويحك ما ذا رأيت، قال: عجبا من العجب، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما معه روحه، فقال له: أعط هذا حقه، فقال: نعم، لا تبرح حتى أخرج إليه حقه، فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه، ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا له: ويلك: ما لك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط، وقال: ويحكم، والله ما هو إلا أن ضرب على بابي، وسمعت صوته فملئت رعبا، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل، ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه (١) لفحل قط، والله لو أبيت لأكلني (٢).

٤ – لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله الغار في متوجهه إلى المدينة أنبت الله على
بابه شجرة من أم غيلان، فحجبت عن الغار أعين الكفار، وأمر الله العنكبوت
فنسجت على وجه الغار، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجه الغار
فعششتا (١) على بابه، ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم و
هراويهم (٢) وسيوفهم، فجعل بعضهم ينظر في الغار، فرأى حمامتين
وحشيتين بفم الغار، فرجع إلى أصحابه، فقالوا له: ما لك؟ فقال: رأيت
حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد، فسمع النبي صلى الله عليه وآله ما قاله،
فعرف أن الله قد درأ عنه، وقال آخر: ادخلوا الغار، فقال أمية بن خلف:
وما إربكم (٣) إلى الغار، إن فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد، ثم جاء
فبال، فقال أبو بكر: إن هذا الرجل ليرانا وكان مواجهه، فقال صلى الله عليه وآله
" كلا، إن ثلاثة من الملائكة تسترنا بأجنحتها، لو كان يرانا ما فعل
هذا. (٤)

٥ - إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما خرج من الغار متوجها إلى المدينة - وقد كانت قريش جعلت لمن أخذه مائة من الإبل - فخرج سراقة بن مالك بن جعشم فيمن يطلب، فلحق برسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:
" اللهم اكفني شر سراقة بما شئت " فساخت (١) قوائم فرسه، فثنى رجله (٢) ثم اشتد (٣) فقال: يا محمد، إني علمت أن الذي أصاب قوائم فرسي إنما هو من قبلك، فادع الله أن يطلق لي فرسي، فلعمري إن لم يصبكم (يصبك - خ ل) مني خير لم يصبكم (يصبكم - خ ل) مني شر، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله، فأطلق الله عز وجل فرسه، فعاد في طلب رسول الله صلى الله عليه وآله
حتى فعل ذلك ثلاث مرات، كل ذلك يدعو رسول الله صلى الله عليه وآله، فتأخذ الأرض
قوائم فرسه، فلما أطلقه في الثالثة قال: يا محمد، هذه إبلي بين يديك فيها غلامي، فإن احتجت إلى ظهر أو لبن فخذ منه، وهذا سهم من كنانتي علامة، وأنا أرجع فأرد عنك الطلب، فقال: " لا حاجة لنا فيما عندك. (٤)

" فصل في تكثر الطعام والشراب ببركته صلى الله عليه وآله "
" وفوران الماء من بين أصابعه "
١ - لما نزلت آية " وانذر عشيرتك الأقربين " (١) على رسول الله صلى الله عليه وآله دعا عليا (عليه السلام) فقال: " يا علي، إن الله يأمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعا، وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت عليها حتى جاءني جبريل، فقال لي: يا محمد، أن لا تفعل ما تؤمر يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعا من طعام، واجعل عليه رجل شاة،

واصلا لنا عسا من لبن، (١) ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به " ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلا - يزيدون رجلا أو ينقصونه - فيهم أعمامه، أبو طالب وحمزة، والعباس، وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعته، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وآله حذية من اللحم، (٢) فشقها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصحفة، (٣) ثم قال: " خذوا باسم الله " فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وأيم الله أن كان الرجل الواحد منهم ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: "

اسق القوم " فجئته بذلك العس، فشربوا حتى رووا جميعا، وأيم الله أن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكلمهم، بدره أبو لهب فقال: سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الغد: " يا علي، إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا من الطعام مثل ما صنعت، ثم اجمعهم " ففعلت ثم جمعت، فدعاني بالطعام، فقربته، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا وشربوا، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: " يا بني عبد المطلب، إني قد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على أمري هذا ويكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم " فأحجم القوم عنها جميعا، (٤) فقلت وأنا أحدثهم

سنا: يا نبي الله، أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي وقال: " إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا " فقام القوم يضحكون و يقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيع. (١)

٢ - إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط الليني فمروا بخيمتي أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة جلدة برزة تحتبي وتقعد بفناء الخيمة، (١) ثم تسقي وتطعم، فسألوها تمرا أو لحما يشترون، فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك، وإذا القوم مرملون مسنتون، (٢) فقالت والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، (٣) فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى شاة في كسر الخيمة، (٤) فقال: " ما هذه الشاة يا أم معبد؟ " قالت: هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم، (٥) فقال: " هل بها من لبن؟ " قالت: هي أجهد من

ذلك، (١) قال: " أتأذنين لي أن أحلبها؟ " قالت: نعم، بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حلبا، (٢) فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالشاة، فمسح ضرعها وذكر
اسم الله وقال: اللهم بارك لها في شاتها " قال: (أي راوي الحديث) فتفاجت ودرت واجترت، (٣) فدعا بإناء يربض الرهط، (٤) فحلب فيه ثجا حتى غلبه الثمال، (٥) فسقاها، فشربت حتى رويت، (٦) وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب صلى الله عليه وآله آخرهم، وقال: " ساقي القوم آخرهم " (أي شربا) فشربوا جميعا عللا بعد نهل حتى أراضوا، (٧) ثم حلب فيه ثانيا عودا

على بدء فغادره عندها، (١) ثم ارتحلوا عنها، فقل ما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا حيلا عجافا هزلى ما تساوق، مخهن قليل لا نقى بهن، (٢) فلما رأى اللبن عجب وقال: من أين لكم هذا والشاء عازبة ولا حلوبة في البيت، (٣) قالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت، قال: والله إني لأراه صاحب قريش الذي يطلب، صفيه لي يا أم معبد، قالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، (٤) الحديث. (٥)

٣ - إن قريشا قد تجمعت في سنة خمس من الهجرة، وساروا في العرب وجلبوا واستنفروهم (١) لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله، فوافوا (٢) في عشرة آلاف... فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، واستشار أصحابه وكانوا سبعمائة رجل، فقال سلمان: يا رسول الله، إن القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة، (٣) قال: فما نصنع؟ قال: نحفر خندقا يكون بيننا وبينهم

حجابا، فيمكنك منعهم [معهم - خ ل] في المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كل وجه، فإنا كنا معاشر العجم في بلاد فارس إذا دهمنا دهم (١) من عدونا نحفر الخنادق فيكون الحرب من مواضع معروفة، فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أشار بصواب، فأمر رسول الله بمسحه (٢) من ناحية أحد إلى راتج (٣)، وجعل على كل عشرين خطوة، وثلاثين خطوة، قوما من المهاجرين والأنصار يحفرونه، فأمر فحملت المساحي والمعاول، (٤) وبدء رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ معولا فحفر في موضع المهاجرين بنفسه، و أمير المؤمنين عليه السلام ينقل التراب من الحفرة، حتى عرق رسول الله صلى الله عليه وآله

وعي، وقال: " لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم اغفر للأنصار والمهاجرين "

فلما كان في اليوم الثاني بكروا إلى الحفر، وقعد رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الفتح، فبينا المهاجرون والأنصار يحفرون إذ عرض لهم جبل لم تعمل المعاول فيه، فبعثوا جابر بن عبد الله بن الأنصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يعلمه ذلك، قال جابر: فجئت إلى المسجد ورسول الله صلى الله عليه وآله مستلقي على قفاه و رداؤه تحت رأسه، وقد شد على بطنه حجرا، فقلت: يا رسول الله، إنه

قد عرض لنا جبل لا تعمل المعاول فيه، فقام مسرعا حتى جاءه، ثم دعا بماء في إناء، وغسل وجهه وذراعيه ومسح على رأسه ورجليه، ثم شرب ومج (١) ذلك الماء في فيه ثم صبه على ذلك الحجر (٢)، ثم أخذ معولا فضرب ضربة فبرقت برقة، فنظر نافيها إلى قصور الشام، ثم ضرب أخرى فبرقت برقة، فنظرنا فيها إلى قصور المدائن، ثم ضرب أخرى فبرقت برقة، فنظرنا فيها إلى قصور اليمن، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما إنه سيفتح الله
عليكم هذه المواطن التي برقت فيها البرق، ثم انهال علينا الجبل كما ينهال الرمل (٣)، فقال جابر: فعلمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله مقوى - أي جائع - لما رأيت على بطنه الحجر، فقلت: يا رسول الله هل لك في الغداء؟ قال: " ما عندك يا جابر؟ فقلت: عناق (٤) وصاع من شعير، فقال: " تقدم وأصلح ما عندك "

فجئت إلى أهلي فأمرتها فطحنت الشعير وذبحت العنز وسلختها (٥) وأمرتها أن تخبز وتطبخ وتشوي، فلما فرغت من ذلك جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله قد فرغنا، فاحضر مع من أحببت،
فقام صلى الله عليه وآله إلى شفير الخندق، ثم قال: يا معشر المهاجرين والأنصار أجيبوا
جابرا، وكان في الخندق سبعمائة رجل، فخرجوا كلهم، ثم لم يمر بأحد من المهاجرين والأنصار لا قال: أجيبوا جابرا، قال جابر: فتقدمت وقلت
لأهلي: قد والله أتاك رسول الله صلى الله عليه وآله بما لا قبل لك به، (٦) فقالت: أعلمته

أنت ما عندنا؟ قال: نعم، قالت: هو أعلم بما أتى، قال جابر: فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله، فنظر في القدر، ثم قال: اغرفي (١) وأبقي، ثم نظر في التنور، ثم قال: أخرجي وأبقي، ثم دعا بصحفة (٢) فثرد فيها وغرف، (٣) فقال: يا جابر، أدخل على عشرة، فأدخلت عشرة فأكلوا حتى نهلوا (٤) وما يرى في القصعة إلا آثار أصابعهم، ثم قال: يا جابر، على بالذراع، فأتيته بالذراع فأكلوه، ثم قال: أدخل على عشرة، فدخلوا فأكلوا حتى نهلوا و ما يرى في القصعة إلا آثار أصابعهم، ثم قال: يا جابر، علي بالذراع فأتيته فأكلوا وخرجوا. ثم قال: أدخل على عشرة، فأدخلتهم فأكلوا حتى نهلوا وما يرى في القصعة إلا آثار أصابعهم، ثم قال: يا جابر، على بالذراع فأتيته بالذراع فقلت: يا رسول الله، كم للشاة من ذراع؟ قال: ذراعان: فقلت: و الذي بعثك بالحق نبيا لقد أتيتك بثلاثة، فقال: أما لو سكت يا جابر لأكلوا كلهم من الذراع، قال جابر: فأقبلت أدخل عشرة عشرة فيأكلون حتى أكلوا كلهم، وبقي والله لنا من ذلك الطعام ما عشنا به أياما (٥).

٤ – عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وآله بين يديه ركوة (١) يتوضأ منها إذ جهش (٢) الناس نحوه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: يا رسول الله، إنه ليس لنا ماء نتوضأ به إلا ما بين يديك، فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده في الركوة، فجعل الماء يفور (٣) من بين أصابعه كأمثال العيون (٣).

(فصل في انشقاق القمر ورد الشمس بدعائه صلى الله عليه وآله)
١ - اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقالوا: إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: " إن فعلت تؤمنون "؟ قالوا: نعم، وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله ربه أن يعطيه ما قالوا، فانشق القمر فرقتين، ورسول الله ينادي، يا فلان، يا فلان، اشهدوا. (١)

---

١ - أي قوله عز من قائل، " وانشق القمر "، مصرحة بوقوع الانشقاق، حيث إنه أخبر بوقوعه بلفظ الماضي، وأخبر عز وجل أيضا بإعراض الكفرة، عنه وعن نظائره من الآيات والمعجزات وقولهم: بأنه سحر.

٢ - قال الطبرسي " في مجمع البيان "، ذيل قوله تعالى: " وانشق القمر ": وقد روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة، منهم عبد الله. وأنس بن مالك وحذيفة بن اليمان " و... (إلى أن قال:) ومن طعن في ذلك بأنه لو وقع انشقاق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما كان يخفى على أحد من أهل الأقطار، فقوله باطل، لأنه يجوز أن يكون الله تعالى حجبه عن أكثرهم بغيم وما يجري مجراه، ولأنه قد وقع ذلك ليلا، فيجوز أن يكون الناس نياما فلم يعلموا ذلك على أن الناس ليس كلهم يتأملون ما يحدث في السماء وفي الجو، من آية و ؟؟؟ ما يغفل الناس عنه.

[٢ - صلى رسول الله صلى الله عليه وآله العصر، فجاء علي عليه السلام ولم يكن صلاها،
فأوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذلك، فوضع رأسه في حجر علي عليه السلام،
فقام رسول الله عليه وآله عن حجره حين قام وقد غربت الشمس، فقال:
" يا علي ما صليت العصر "؟ قال: لا يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:
" اللهم إن عليا في طاعتك، فاردد عليه الشمس " فردت عليه الشمس
عند ذلك (١).]

---

١ - أقول: بل قد تم مضمون الباب في الجزء الثاني منه، ص ٩ إلى ١٢ مبسوطا.

---

١ - أقول: الصحيح، فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، كما في البداية والنهاية، جزء ٦، ص ٧٧، وص ٨٠، ومشكل الآثار، جزء ٢، ص ٨، والجزء ٤، ص ٣٨٨.

---

١ - ابن العراقي: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن... الكردي الرازياني ثم المصري، الشافعي، الإمام العلامة الفريد الحافظ ولي الدين أبو زرعة، مولده في الثالث من ذي الحجة الحرام، سنة اثنتين وستين وسبعمائة... وظهرت نجابته واشتهرت نباهته وأجيز وهو شاب بالافتاء والتدريس، وصار يزداد فضلا مع ذكائه وتواضعه وحسن شكله وشرف نفسه وسلامة باطنه، فأقبل عليه الناس، وساد بجميع ذلك في حياة والده، واشتهر بالفضل مع الدين المتين والانجماع وحسن الخلق والخلق، قل أن ترى العيون مثله... أكثر أيامه يشتغل ويشغل ويصنف، فألف جملة، منها: " البيان والتوضيح لمن خرج له في الصحيح وقد مس بضرب من التجريح " و... و... وتمم شرح والده على " ترتيب المسانيد وتقريب الأسانيد " و... إلى أن مات في يوم الخميس سابع عشر شعبان، سنة ست وعشرين وثمانمائة. " لحظ الالحاظ " بذيل طبقات الحفاظ، للحافظ أبي الفضل تقي الدين بن فهد المكي ص ٢٨٤ إلى ٢٨٩.
وفي " ذيل طبقات الحفاظ " للسيوطي ص ٣٧٥، ولي الدين العراقي، هو الحافظ الإمام الفقيه الأصولي المفنن أبو زرعة، أحمد بن الحافظ الكبير أبي الفضل عبد الرحيم (العراقي) ولد في ذي الحجة... وبرع في الفنون، وكان إماما محدثا حافظا فقيها محققا أصوليا صالحا، صنف التصانيف الكثيرة النافعة، " كشرح سنن أبي داود "، و... و... " شرح تقريب الأسانيد " لوالده، و.. مات في سابع عشرى شعبان، سنة ٨٢٦. أقول: وقد ورد ترجمته أيضا في " الأعلام " للزركلي، جزء ١، ص ١٤٤.

---

١ - قال السيوطي في الجزء ١، ص ٢ من " اللآلي المصنوعة " (في سبب تأليف الكتاب): وبعد، فإن من مهمات الدين التنبيه على ما وضع من الحديث واختلق على سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وصحابته أجمعين، وقد جمع في ذلك الحافظ أبو الفرج بن الجوزي كتابا، فأكثر فيه من إخراج الضعيف الذي لم ينحط إلى رتبة الوضع، بل ومن الحسن، بل ومن الصحيح، كما نبه ذلك الأئمة الحفاظ ومنهم ابن الصلاح في علوم الحديث وأتباعه... وقال الذهبي في " تذكرة الحفاظ "، ج ٣، ص ١٣٤٢ في ترجمة ابن الجوزي، ولد تقريبا سنة عشر وخمس مائة أو قبلها... إلى أن قال في ١٣٤٧ نقلا عن الموفق عبد اللطيف، وكان (أي ابن الجوزي) كثير الغلط فيما يصنفه، فإنه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره. (قال الذهبي بعد ذلك:) قلت: نعم، له وهم كثير في تواليفه، يدخل عليه الداخل من العجلة والتحويل إلى مصنف آخر ومن أن جل علمه من كتب صحف ما مارس فيها أرباب العلم كما ينبغي، وكانت جنازته مشهودة، شيعه الخلائق يوم الجمعة، ثالث عشر شهر رمضان إلى مقبرة باب حرب، سنة سبع وتسعين وخمس مائة وقد قارب التسعين.

٢ - القائل: هو القسطلاني شارح " صحيح البخاري "، وسيأتي ترجمته عن قريب، وكتابه المواهب هو: " المواهب اللدنية في المنح المحمدية ".

٣ - الزرقاني: محمد بن عبد الباقي... الزرقاني المصري الأزهري المالكي أبو عبد الله، خاتمة المحدثين بالديار المصرية، مولده ووفاته بالقاهرة، ونسبته إلى " زرقان " من قرى " منوف " بمصر، من كتبه: " تلخيص المقاصد الحسنة " في الحديث، و... و " شرح المواهب اللدنية "، و " شرح موطأ الإمام مالك " و... (مولده في سنة ١٠٥٥، ووفاته في سنة ١١٢٢ ه). " الإعلام " لخير الدين الزركلي، جزء ٧، ص ٥٥، ط ٣.

٤ - ٥ - ابن مندة: محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة بن عبد الله العبدي الإصبهاني، الحافظ الجوال، صاحب التصانيف، كان من أئمة هذا الشأن وثقاتهم... ولد ابن مندة سنة ست عشرة وثلاثمائة... وكان من دعاة السنة وحفاظ الأثر. قال الباطرقاني: حدثنا ابن مندة إمام الأئمة في الحديث... وقال أبو إسحاق بن حمزة الحافظ: ما رأيت مثل أبي عبد الله بن مندة. وقال جعفر المستغفري: ما رأيت أحفظ من ابن مندة... مات في سلخ ذي القعدة، سنة خمس وتسعين وثلاث مائة... " لسان الميزان " لابن الحجر (ط حيدر آباد الدكن)، جزء ٥، ص ٧٠ - ٧١. أقول: وقد ورد ترجمته أيضا في " تذكرة الحفاظ " للذهبي، (ط دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند) ج ٣، ص ١٠٣١ إلى ١٠٣٦. و " الأعلام " لخير الدين الزركلي جزء ٦، ص ٢٥٣، وفيه: محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة... من كبار حفاظ الحديث الراحلين في طلبه، المكثرين من التصنيف فيه، من كتبه: " فتح الباب في الكنى والألقاب " طبع قطعة منه، و... و...

وابن شاهين: الحافظ [الإمام] المفيد المكثر، محدث العراق، أبو حفص عمر بن أحمد بن... البغدادي، الواعظ، المعروف بابن شاهين، صاحب التصانيف... مولده سنة سبع وتسعين ومائتين... قال ابن ماكولا: ثقة مأمون، سمع بالشام وفارس والبصرة، وصنف شيئا كثيرا... قال الأزهري، وابن شاهين ثقة، عنده عن البغوي سبع مائة جزء، وقال ابن أبي الفوارس: ثقة مأمون، صنف

ما لم يصنفه أحد... قال العتيقي: مات في ذي الحجة، سنة خمس وثمانين وثلاث مائة. " تذكرة الحفاظ " للذهبي، ج ٣، ص ٩٨٧ إلى ٩٨٩. أقول: وقد ورد ترجمته أيضا في " لسان الميزان " لابن حجر، جزء ٤، ص ٢٨٣ إلى ٢٨٥. و " مرآة الجنان " لليافعي، جزء ٢، ص ٤٢٦. و " تاريخ بغداد "، جزء ١١، ص ٢٦٥. و " الأعلام " للزركلي، جزء ٥، ص ١٩٦، وفيه: عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، أبو حفص، واعظ علامة من أهل بغداد، كان من حفاظ الحديث، له نحو ثلاث مائة مصنف، منها: كتاب " السنة "... و...

---

١ - ابن مردويه: الحافظ الثبت العلامة أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الإصبهاني، صاحب التفسير والتاريخ وغير ذلك... وعمل " المستخرج " على صحيح البخاري "، وكان قيما بمعرفة هذا الشأن، بصيرا بالرجال، طويل الباع، مليح التصانيف، ولد سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة، ومات لست بقين من رمضان سنة عشر وأربع مائة " تذكرة الحفاظ " للذهبي، ج ٣، ص ١٠٥٠ - ١٠٥١. و " الأعلام " للزركلي، جزء ١، ص ٢٤٦، وفيه: ابن مردويه: أحمد بن موسى... حافظ مؤرخ مفسر من أهل إصبهان، له كتاب " التاريخ " و...

٢ - تقدم ترجمته في ص ١٣٧ - ١٣٨.

---

١ - قال الذهبي: الجوزقاني: الحافظ الإمام أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم بن حسين جعفر الهمذاني، مصنف كتاب " الأباطيل " وهو محتو على أحاديث موضوعة، طالعته واستفذت منه، مع أوهام فيه، وقد تبين بطلان أحاديث واهية بمعارضة أحاديث صحاح لها (وفاته في سنة ٥٤٣ ه)... " تذكرة الحفاظ ". جزء ٤، ص ١٣٠٨. أقول: وقد ورد ترجمته أيضا في " لسان الميزان "، جزء ٢، ٢٦٩ إلى ٢٧١، وفيه: الحسين بن إبراهيم... دجال، وضع حديث صلاة الأيام بسند كالشمس، إلى مالك عن الزهري، عن سالم عن أبيه مرفوعا، وفيه (أي في الحديث): من صلى يوم الاثنين أربع ركعات... وقد وجدت ابن الجوزي في " الموضوعات " قال ما نصه، صلاة يوم الاثنين، أخبرنا إبراهيم بن محمد، أخبرنا الحسين بن إبراهيم... عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: " من صلى يوم الاثنين... "... قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع بلا شك، وكنت اتهم به الحسين بن إبراهيم، والآن فقد زال الشك، لأن رجال الإسناد كلهم ثقات، وإنما هو (أي حسين بن إبراهيم) الذي وضع هذا... قال: (أي ابن الجوزي): ولقد كان لهذا الرجل حظ من علم الحدث، فسبحان من يطمس على القلوب، انتهى كلامه. (قال ابن حجر بعد ذلك): وأشار بهذا الوصف، إلى أن الحسين بن إبراهيم المذكور، هو الحافظ المعروف بالجوزقاني، وقد ارتضاه هو، ونسخ كتابه الذي سماه " الأباطيل والمناكير " بخطه، و ذكر كثيرا من كلامه فيه في كتابه " الموضوعات " ولا ينسبه إليه، كما بينت ذلك في عدة مواضع... (ثم قال:) وقال المصنف (أي الذهبي) في " طبقات الحفاظ ": الحسين بن إبراهيم الهمذاني، مصنف كتاب " الأباطيل "... مع أوهام فيه، وقد بين بطلان أحاديث واهية بمعارضة أحاديث صحاح لها. وهذا موضوع كتابه، لأنه سماه " الأباطيل والمناكير و الصحاح والمشاهير "، ويذكر الحديث الواهي، ويبين علته، ثم يقول: باب في خلاف ذلك، فيذكر حديثا صحيحا ظاهرة يعارض الذي قبله، وعليه في كثير منه مناقشات.

---

١ - قال ابن حجر العسقلاني في ترجمة فضيل بن مرزوق، فضيل بن مرزوق الأغر الرياشي الكوفي... قال معاذ بن معاذ: سألت الثوري عنه، فقال: ثقة. و قال الحسن بن علي الحلواني: سمعت الشافعي يقول: سمعت ابن عينية يقول: فضيل بن مرزوق ثقة. وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: ثقة. وقال عبد الخالق بن منصور، عن ابن معين: صالح الحديث إلا أنه شديد التشيع. وقال أحمد: لا أعلم إلا خيرا. وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: صالح الحديث، صدوق، يهم كثيرا يكتب حديثه، قلت: يحتج به؟ قال: لا. وقال النسائي: ضعيف. وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به. وقال الحسين بن الحسن المروزي: سمعت الهيثم بن جميل يقول: جاء فضيل بن مرزوق وكان من أئمة الهدى زهدا وفضلا إلى الحسن بن صالح بن حي... وقال العجلي: جائز الحديث، صدوق، وكان فيه تشيع. " تهذيب التهذيب " جزء ٨، ص ٢٩٨ إلى ٣٠٠.

---

١ - عبد الرحمن بن شريك بن عبد الله النخعي الكوفي... (روى) عنه، البخاري في كتاب " الأدب "، وأبو كريب، ومحمد بن عبد الله بن نمير، وأحمد بن عثمان بن حكيم، وأبو شيبة بن أبي بكر بن أبي شيبة، و... غيرهم. قال أبو حاتم: واهي الحديث. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: ربما أخطأ. قال ابن عقدة: مات سنة سبع وعشرين ومأتين. " تهذيب التهذيب " لابن حجر، جزء ٦، ص ١٩٤.

٢ - قال الذهبي: ابن عقدة حافظ العصر، والمحدث البحر، أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي مولى بني هاشم، وكان أبوه نحويا، صالحا، يلقب بعقدة... حدث عنه: الجعابي، والطبراني، وابن عدي، والدارقطني، و أبو حفص الكتاني، و... خلق كثير... قال الوزير أبو الفضل بن حنزابة، سمعت الدارقطني يقول: أجمع أهل الكوفة إنه لم ير بالكوفة من زمن ابن مسعود إلى زمن ابن عقدة، أحفظ منه... قال الحاكم ابن البيع: سمعت أبا على الحافظ يقول: ما رأيت أحفظ لحديث الكوفيين من أبي العباس بن عقدة... قال عبد الغني: سمعت الدارقطني يقول: كان ابن عقدة يعلم ما عند الناس، ولا يعلم الناس ما عنده... و قال أبو عمرو بن حيويه: كان ابن عقدة يملي مثالب الصحابة، فتركت حديثه... (قال الذهبي بعد ذلك:) قلت: ما علمت ابن عقدة اتهم بوضع [متن] حديث، أما الأسانيد فلا أدري... ولد ابن عقدة في سنة تسع وأربعين ومائتين، ومات في ذي القعدة سنة اثنين وثلاثين وثلاث مائة. " تذكرة الحفاظ "، ج ٣، ص ٨٣٩ إلى ٨٤٢. أقول: وقد ورد ترجمته أيضا في " مرآة الجنان " لليافعي، جزء ٢، ص ٣١١، وفيه: وفيها (أي في سنة ٣٣٢) توفي الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد الكوفي الشيعي أحد أركان الحديث، كان آية من آيات الله تعالى في الحفظ... و " لسان الميزان " لابن حجر، جزء ١، ص ٢٦٣ إلى ٢٦٦، وفيه: أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، الحافظ أبو العباس، محدث الكوفة، شيعي متوسط، ضعفه غير واحد، وقواه آخرون، قال ابن عدي: صاحب معرفة وحفظ وتقدم في الصنعة، رأيت مشايخ بغداد يسيئون الثناء عليه. ثم قوى ابن عدي أمره وقال: لولا أني شرطت أن أذكر كل من تكلم فيه - يعني لا أحابي - لم أذكره، للفضل الذي كان فيه من الفضل والمعرفة، ثم لم يسق له ابن عدي شيئا منكرا... قال ابن عدي: وسمعت أبا بكر بن غالب يقول: ابن عقدة لا يتدين بالحديث، لأنه كان يحمل شيوخا بالكوفة على الكذب، يسوي لهم نسخا ويأمرهم أن يرووها، ثم يرويها عنهم... وقال المؤلف (أي الذهبي) في " تذكرة الحفاظ " عقب الحكاية الأخيرة: ما علمت ابن عقدة اتهم بوضع حديث، أما الإسناد فلا أدري. (قال ابن حجر بعد ذلك:) قلت أنا: ولا أظنه كان يضع في الإسناد إلا الذي حكاه ابن عدي، وهي الوجادات التي أشار إليها الدارقطني. (أقول: الوجادة على ما في " أقرب الموارد ": اسم لما أخذ من العلم من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة.)... وقال حمزة عن الدارقطني: أشهد أن من اتهمه بالوضع فقد كذب... وقال مسلمة بن قاسم: لم يكن في عصره أحفظ منه، وكان يزن (أي يتهم) بالتشيع، والناس يختلفون في أمانته، فمن راض ومن ساخط به... و " تاريخ بغداد " جزء ٥، ص ١٤ إلى ٢٣، وفيه: وكان حافظا عالما مكثرا، جمع التراجم والأبواب والمشيخة وأكثر الرواية وانتشر حديثه، وروى عنه الحفاظ و الأكابر، مثل: أبي بكر بن الجعابي، وعبد الله بن عدي الجرجاني، وأبي القاسم الطبراني،

ومحمد بن المظفر، وأبي حفص بن شاهين، و... ومن في طبقتهم وبعدهم... و " الأعلام " للزركلي، جزء ١، ص ١٩٨، وفيه: أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي مولى بني هاشم، أبو العباس: حافظ زيدي جارودي كانت كتبه ستمائة حمل، له تصانيف، منها،... و " أخبار أبي حنيفة ومسنده "، و " الولاية، ومن روى غدير خم ". و " الشيعة من أصحاب الحديث "، و...

---

١ - داود بن فراهيج: (روى) عن أبي هريرة، و (روى) عنه شعبة وغيره روى عباس عن يحيى (أي يحيى بن معين) قال: قد روى عنه شعبة وأبو غسان محمد بن مطرف، وهو ضعيف. وقال يحيى القطان: كان شعبة يضعف داود بن فراهيج. وقال يعقوب الحضرمي: حدثنا شعبة عن داود (أي داود بن فراهيج) وكان قد كبر وافتقر. وعن ابن معين أيضا: لا بأس به. ويروي عن ابن المديني عن يحيى القطان، [أنه] ثقة، وقال ابن عدي، لا أرى بمقدار ما يرويه بأسا، وله حديث (عن أبي هريرة مرفوعا) فيه نكرة، (وهو: " ما حسن الله خلق رجل وخلقه فيطعمه النار ") قال أبو حاتم: تغير حبن كبر، وهو ثقة صدوق انتهى. وقال النسائي في التمييز: ليس بالقوي... وذكره ابن شاهين في الثقات. وروى له ابن حبان في صحيحه. وقال الساجي: كان أحمد يضعفه، وقال ابن الجارود: ضعيف الحديث، وقال العجلي: لا بأس به. " لسان الميزان "، جزء ٢، ص ٤٢٤ - ٤٢٥.

---

١ - القاضي أبو الفضل عياض بن موسى... اليحصبي، السبتي: كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، وصنف التصانيف المفيدة، منها: كتاب " الإكمال في شرح كتاب مسلم " كمل به " المعلم في شرح كتاب مسلم " للمازري، و... وبالجملة، فكل تآليفه بديعة... وذكره ابن الأبار في أصحاب أبي علي الغساني وقال: من أهل سبتة، وأصله من بسطة، يكنى أبو الفضل، أحد الأئمة الحفاظ الفقهاء المحدثين الأدباء... " وفيات الأعيان " لابن خلكان (ط ١، مصر، سنة ١٣٦٧ ه) جزء ٣، ص ١٥٢ - ١٥٣. أقول: وقد ورد ترجمته أيضا في " مرآة الجنان " لليافعي، جزء ٣، ص ٢٨٢ وفيه: وفيها (أي في سنة ٥٤٤ ه) توفي القاضي الإمام العلامة أبو الفضل بن عياض... اليحصبي أحد الحفاظ الأعلام... وصنف التصانيف الجليلة المفيدة، منها... ومنها، " الشفاء " في تعريف حقوق المصطفى (ص) و... و " تذكرة الحفاظ " للذهبي، ج ٤، ص ١٣٠٤ إلى ١٣٠٧، وفيه: عياض بن موسى... القاضي العلامة عالم المغرب أبو الفضل اليحصبي السبتي... وصنف التصانيف التي سارت بها الركبان واشتهر اسمه وبعد صيته... وله كتاب " الشفاء " في شرف المصطفى (ص)، و... و " البداية والنهاية " لابن كثير، جزء ١٢، ص ٢٢٥، وفيه، أحد مشايخ العلماء المالكية، وصاحب المصنفات الكثيرة المفيدة منها: " الشفاء " و... وكان إماما في علوم كثيرة، كالفقه، واللغة والحديث والأدب... و " شرح الشفاء " لعلي القاري، ج ١ ص ٢، وفيه: إن المصنف رحمه الله تعالى كان وحيد زمانه وفريد أوانه، متقنا لعلوم الحديث واللغة والنحو والآداب.. و " الأعلام " للزركلي، جزء ٥، ص ٢٨٢.

٢ - الطحاوي: الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف
أحمد بن محمد سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصري
قال ابن يونس، ولد سنة سبع وثلاثين ومائتين، وكان ثقة ثبتا فقيها عاقلا لم يخلف مثله، قال أبو إسحاق الشيرازي في " الطبقات ": انتهت إلى أبي جعفر رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر... قال ابن يونس: مات أبو جعفر في مستهل ذي العقدة، سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة عن بضع وثمانين سنة... " تذكرة الحفاظ " للذهبي، ج ٣، ص ٨٠٨ إلى ٨١١. أقول: وقد ورد ترجمته أيضا في " شرح الشفاء " للحافظ " للذهبي على القاري، ج ١، ص ٥٩٨، وفيه: وهو (أي الطحاوي) الإمام الحافظ العلامة، صاحب التصانيف المهمة، روى عنه الطبراني وغيره من الأئمة، وهو مصري من أكابر علماء الحنفية لم يخلف مثله بين الأئمة الحنفية. و " مرآة الجنان " لليافعي، جزء ٢ ص ٢٨١. و كتاب " المختصر في أخبار البشر " لأبي الفداء، جزء ٢، ص ٧٩ (ط أفست، بيروت) و " تتمة المختصر، في أخبار البشر " لابن الوردي، جزء ١، ص ٣٩٦. و " وفيات الأعيان " جزء ١، ص ٥٣ إلى ٥٥. و " لسان الميزان "، جزء ١، ص ٢٧٤ إلى ٢٨٢، وفيه: وصنف (الطحاوي) التصانيف، في اختلاف العلماء، و... و " مشكل الآثار "، وغير ذلك. و " الأعلام " للزركلي، جزء ١، ص ١٩٧. وذيل " الكامل " لابن الأثير، جزء ٦، ص ٢٣٤، للأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار، وفيه: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة... الطحاوي الفقيه الحنفي المحدث الحافظ، أحد الأعلام وشيخ الإسلام... وكان إمام عصره بلا مدافعة في الفقه والحديث. و " البداية والنهاية " لابن كثير، جزء ١١، ص ١٧٤، وفيه: صاحب المصنفات المفيدة، والفوائد الغزيرة

وهو أحد الثقات الأثبات، والحفاظ الجهابذة...

---

١ - أحمد بن صالح: الحافظ أبو جعفر الطبري ثم المصري، أحد الأعلام... سمع سفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب، وابن أبي فديك، وعبد الرزاق، وطبقتهم، حدث عنه البخاري، وأبو داود " صاحب السنن " وصالح جزرة، وخلق. قال صالح جزرة: لم يكن بمصر من يحسن الحديث غيره... وقال محمد بن عبد الله بن نمير، إذا جاوزت الفرات فليس أحد مثل أحمد بن صالح، وقال أبو حاتم: ثقة. وقال البخاري: ثقة، ما رأيت أحدا يتكلم فيه بحجة... وقال حافظ بن وارة، أحمد ببغداد، والنفيلي بحران، وأحمد بن صالح بمصر، هؤلاء أركان الدين. (قال الذهبي:) قلت: الرجل حجة ثبت لا عبرة بقول من نال منه، ولكنه كما قال الخطيب، كان فيه الكبر وشراسة الخلق، نال النسائي جفاء منه في مجلسه، فلذلك الذي أفسد بينهما (ثم قال:) قلت: قد استوفيت أخبار أحمد بن صالح في تاريخي... مات في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين ومائتين. " تذكرة الحفاظ " جزء ٢ ص ٤٩٥ - ٤٩٦. أقول: وقد ورد ترجمته أيضا في " تهذيب التهذيب " لابن حجر، جزء ١، ص ٣٩ إلى ٤٢ -. و " مرآة الجنان " لليافعي، جزء ٢، ص ١٥٤ - ١٥٥. و " تاريخ بغداد "، جزء ٤، ص ١٩٥ إلى ٢٠٢. و " شرح الشفاء " لعلي القاري، ج ١، ص ٥٩٠.

---

١ - الطبراني: الحافظ الإمام العلامة الحجة [بقية الحفاظ] أبو القاسم سليمان بن أحمد... اللخمي الشامي الطبراني، مسند الدنيا، ولد سنة ستين ومائتين، وسمع في سنة ثلاث وسبعين وهلم جرا بمدائن الشام والحرمين واليمن ومصر وبغداد و الكوفة والبصرة وإصبهان والجزيرة وغير ذلك، وحدث عن ألف شيخ أو يزيدون. وصنف " المعجم الكبير " وهو المسند، سوى مسند أبي هريرة، فكأنه أفرده في مصنف. و " المعجم الأوسط ". في ست مجلدات كبار على معجم شيوخه، يأتي فيه عن كل شيخ بما له من الغرائب والعجائب، فهو نظير كتاب " الإفراد " للدارقطني، بين فيه فضيلته وسعة روايته... وصنف " المعجم الصغير " وهو عن كل شيخ له، حديث واحد وصنف أشياء كثيرة، وكان من فرسان هذا الشأن مع الصدق والأمانة... قال أبو نعيم: توفي لليلتين بقيتا من ذي القعدة، سنة ستين وثلاثمائة... " تذكرة الحفاظ " للذهبي، جزء ٣، ص ٩١٢ إلى ٩١٧. أقول: وقد ورد ترجمته أيضا في " مرآة الجنان " لليافعي، جزء ٢، ص ٣٧٣، وفيه: وكان ثقة صدوقا واسع الحفظ، بصيرا بالعلل والرجال والأبواب، كثير التصانيف. و " أخبار إصبهان " لأبي نعيم (ط ليدن، سنة ١٩٣١ م) ج ١، ص ٣٣٥، وفيه: قدم إصبهان، سنة تسعين ومائتين، فخرج منها، ثم قدمها ثانيا فأقام بها محدثا ستين سنة، كان مولده سنة ٢٦٠، و توفي في ذي القعدة لليلتين بقيتا منه، سنة ٣٦٠، ودفن يوم الأحد من غده إلى جنب قبر حممة بباب مدينة " جى "... و " الأعلام " للزركلي، جزء ٣، ص ١٨١. وكتاب " المختصر في أخبار البشر " لأبي الفداء، جزء ٢، ص ١٤١. و " البداية والنهاية " لابن كثير، جزء ١١، ص ٢٧٠. و " المنتظم " لابن الجوزي، جزء ٧، ص ٥٤ (ط حيدر آباد الهند، سنة ١٣٥٩ ه).

---

١ - الصحيح: عبد الله بن الحسن، قال ابن حجر، عبد الله بن حسن بن حسن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني أبو محمد (عليهم السلام). وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي (ع). روى عن أبيه وأمه... " تهذيب التهذيب "، جزء ٥، ص ١٨٦. أقول: وقد ورد ترجمته أيضا في تاريخ بغداد، جزء ٩، ص ٤٣١ إلى ٤٣٤، وفيه: و لعبد الله بن الحسن رواية عن أبيه، وعن أمه فاطمة بنت الحسين (ع). و " مقاتل الطالبيين " لأبي الفرج (ط مصر، سنة ١٣٦٨ ه)، ص ١٧٩ إلى ١٨٤. و " الطبقات " لابن سعد، جزء ٥، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ (في ترجمة حسن بن حسن).

٢ - أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعد... الرازي الدولابي: كان عالما بالحديث والأخبار والتواريخ... وروى عنه الطبراني وأبو حاتم حيان البستي، وله تصانيف مفيدة في التاريخ ومواليد العلماء ووفياتهم، واعتمد عليه أرباب هذا الفن في النقل، وأخبروا عنه في كتبهم ومصنفاتهم المشهورة. وبالجملة فقد كان من الأعلام في هذا الشأن، وممن يرجع إليه، وكان حسن التصنيف، وتوفي سنة عشرين وثلاث مائة بالعرج... " وفيات الأعيان "، جزء ٣، ص ٤٧٤. أقول: وقد ورد ترجمته أيضا في " تذكرة الحفاظ " للذهبي، جزء ٢، ص ٧٥٩. و " الوافي بالوفيات " للصفدي، جزء ٢، ص ٣٦. و " البداية والنهاية " لابن كثير، جزء ١١، ص ١٤٥. و " المنتظم " لابن الجوزي، جزء ٦، ص ١٦٩. و " لسان الميزان "، جزء ٥، ص ٤١ - ٤٢. و " الأعلام " للزركلي، جزء ٦، ص ١٩٨. وفي الكتب المذكورة: وفاته: سنة ٢١٠ ه.

---

١ - ولفظه: قال علي (عليه السلام) يوم الشورى: " أنشدكم بالله، هل فيكم من ردت له الشمس غيري حين نام رسول الله صلى الله عليه (وآله) وجعل رأسه في حجري حتى غابت الشمس، فانتبه فقال: " يا علي، صليت العصر "؟ قلت: اللهم لا، فقال: " اللهم اردها عليه، فإنه كان في طاعتك وطاعة رسولك ".

٢ - علي بن محمد سلطان (وورد اسمه على كثير من كتبه: علي بن سلطان) [وعلي بن سلطان محمد، كما ص ٢، من المجلد الأول من شرح " الشفاء "] الهروي، المعروف ب " القاري "، نور الدين: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره، ولد في هراة، وسكن مكة وتوفي بها... (وفاته في سنة ١٠١٤). " الأعلام " للزركلي، جزء ٥، ص ١٦٦.

---

١ - ابن القيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي [وفي " الوافي بالوفيات " جزء ٢، ص ٢٧٠: الحنبلي، المعروف بابن قيم الجوزية]... مولده ووفاته في دمشق، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، وهو الذي هذب كتبه، ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصى، وأطلق بعد موت ابن تيمية... (مولده في سنة ٦٩١، ووفاته في سنة ٧٥١ ه)... " الأعلام " للزركلي، جزء ٦، ص ٢٨٠.

٢ - هو على ما في " الأعلام " وغيره، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن... النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، مولده في سنة ٦٦١، ووفاته في سنة ٧٢٨ ه). ولا عجب منه وإنكاره لحديث رد الشمس المتضمن لفضيلة من فضائل مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي رواه الفريقان بطرق كثيرة كيف، وقد قال اليافعي (في الجزء ٤، من كتابه " مرآة الجنان "، ص ٢٧٧ - ٢٧٨).

وفيها (أي في سنة ٧٢٨ ه) مات بقلعة دمشق، الشيخ الحافظ الكبير، تقي الدين... ابن تيمية معتقلا، ومنع قبل وفاته بخمسة أشهر، من الدواة والورق (إلى أن قال:) وله مسائل غريبة أنكر عليه، وحبس بسببها مباينة لمذهب أهل السنة، ومن أقبحها: نهيه عن زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام... وكذلك عقيدته في الجهة، وما نقل عنه فيها من الأقوال الباطلة، وغير ذلك مما هو معروف في مذهبه...

وقال الأستاذ الشيخ محمد زاهد الكوثري (الشامي) صاحب التعليق على الذيول الثلاثة لتذكرة الحفاظ (في ص ٣١٥ - ٣١٦)، عند قول صاحب الذيل الثاني الحافظ تقي الدين محمد بن فهد المكي، في كتابه " لحظ الألحاظ ": " في هذه السنة (أي سنة ٨٤١ ه) توفي بالطاعون، ناظر الخاص سعد الدين إبراهيم بن... والشيخ علاء الدين محمد بن محمد بن محمد بن البخاري الحنفي ": وهو، أي الشيخ علاء الدين البخاري المذكور) من أكابر تلامذة المحقق، سعد الدين التفتازاني، كان علامة في المعقول، موقفا في نشر العلم، ملأ الدنيا بمن تخرج عنده من المبرزين في الهند، ؟؟؟..... وهو الذي...

البدع الفظيعة، ومضوا على إحسان الظن به (ثم قال:)

قال السخاوي: لما سكن العلاء البخاري دمشق، كان يسأل عن مقالات ابن تيمية التي انفرد بها، فيجيب بما يظهر له من الخطأ فيها وينفر قلبه عنه، إلى أن استحكم أمره عنده، وصرح بتبديعه ثم بتكفيره، ثم صار يصرح في مجلسه بأن من أطلق على ابن تيمية شيخ الإسلام يكفر بهذه الإطلاق، انتهى. (ثم قال:)

ولم يكن تشدده عليه من جهة كلام ابن تيمية في الصوفية، لأنه كان يرد على ابن العربي أيضا سواء بسواء، بل من ناحية ما في كتب ابن تيمية من صريح القول بالقدم النوعي في العالم، وحلول الحوادث به تعالى والجهة وغيرها، مما تأباه جماهير النظار من متكلمي أهل السنة...

وقال الأستاذ الكوثري أيضا (في ص ٣٢٠) ذيل قول صاحب " لحظ الألحاظ " (في ترجمة ابن ناصر الدين...: " جمع وألف وخرج وصنف، فمن ذلك: " المولد النبوي "...، و " الرد الوافر... " على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام،

كافر "... و...): جمع فيه (أي في " الرد الوافر... " من أطراه ووصفه بشيخ الإسلام من شيوخ العلم، ردا على العلامة العلاء البخاري السابق ذكره، وفاته أن من هؤلاء (أي من شيوخ العلم) جماعة إنما أثنوا عليه (أي على ابن تيمية) قبل قيامه بإذاعة بدعه، وانكشاف الستر عن وجوه مسعاه، كابن دقيق العيد، والزملكاني. والصلاح العلائي، وأبي حيان وغيرهم، ثم انقلبوا عليه. وإن منهم أناسا من الرواة، من صغار أصحابه وأصحابه البعيدين عن النظر ممن لا حجة في كلامهم. و منهم طائفة يقرون له بالبراعة وسعة العلم، من غير مشايعة له في شواذه الأصلية والفرعية. ومنهم من انخدع بأوائل حاله، ولم يطلع على خبايا مفرداته في كتبه، فجرى على المبالغة في إحسان الظن به. ومع هذا كله، كان جماهير أهل العلم من حذاق النظر على معاداته. ويقول الذهبي فيما كتب إليه نصيحة له، حين طفح كيل فتنة:

" وأعداؤك والله فيهم صلحاء، وأخيار، وعقلاء، وفضلاء، كما أن أولياءك فيهم فجرة، وكذبة، وجهلة، وبطلة، وعور، وبقر... فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل أو عامي كذاب بليد الذهن، أو غريب واجم قوي المكر، أو ناشف صالح عديم الفهم، فإن لم تصدقني ففتشهم، وزنهم بالعدل ". على ما نقل من خطه (أي خط الذهبي)، الحافظ صلاح الدين العلائي، وأشار إليه السخاوي في " الاعلان ". (ثم قال بعد ذلك:) وبعد أن كتب ابن ناصر الدين هذا الكتاب (أي " الرد الوافر... ") استاء منه أصحابه، وانفض من حوله كثيرون منهم، كالمحدثين شمس الدين البلاطنسى والشهاب الخوارزمي وغيرهما، وفى جملة من أنكر عليه ذلك، الشهاب بن المحرة وابن قاضي شهبة...

وقال الذهبي في " تذكرة الحفاظ " جزء ٤، ص ١٤٩٧ ضمن ترجمته لابن تيمية: وقد انفرد بفتاوى، نيل من عرضه، لأجلها، وهي مغمورة في بحر علمه، فالله تعالى يسامحه ويرضى عنه، فما رأيت مثله، وكل أحد [من الأمة] فيؤخذ (فيأخذ - ظ) من قوله ويترك، فكان ماذا:

وقال ابن الوردي الشافعي (المحب لابن تيمية) في الجزء ٢، من كتابه " تتمة المختصر في أخبار البشر "، ص ٣٦٣: وفيها (أي في سنة ٧٠٥ ه)، استدعى الشيخ تقي الدين، أحمد بن تيمية من دمشق إلى مصر، وعقد له مجلس، واعتقل بما نسب إليه من التجسيم. وص ٤١١ - ٤١٢، ضمن ترجمته لابن تيمية: وفي آخر الأمر ظفروا له بمسألة السفر لزيارة قبور النبيين، وأن السفر، وشد الرحال لذلك منهي عنه، لقوله صلى الله عليه (وآله) وسلم: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ". مع اعترافه بأن الزيارة بلا شد رحل قربة، فشنعوا عليه بها، وكتب فيها جماعة بأنه يلزم من منعه شائبة تنقيص للنبوة، فيكفر بذلك، وأفتى عدة بأنه مخطئ بذلك خطأ المجتهدين المغفور لهم، ووافقهم جماعة، وكبرت القضية، فأعيد إلى قاعة بالقلعة، فبقي بضعة وعشرين شهرا، وآل الأمر إلى أن منع من الكتابة والمطالعة، وما تركوا عنده كراسا ولا دواة...

وفي " ذيل تذكرة الحفاظ " للحافظ أبي المحاسن الحسيني الدمشقي الشافعي (ص ٤٠، في ترجمة الحافظ تقي الدين السبكي المصري ثم الدمشقي، الشافعي): ومن تصانيفه: كتاب... وكتاب " شفاء السقام، في زيارة خير الأنام " وهو الرد على ابن تيمية: وقد يسمى، شن الغارة...

---

١ - أحمد بن علي بن عبد الله، شهاب الدين الدلجى: فاضل مصري، له مربوط خفيف العقل أو عامي كذاب بليد الذهن، أو غريب واجم قوي المكر، أو ناشف صالح عديم الفهم، فإن لم تصدقني ففتشهم، وزنهم بالعدل ". على ما نقل من خطه (أي خط الذهبي)، الحافظ صلاح الدين العلائي، وأشار إليه السخاوي في " الاعلان ". (ثم قال بعد ذلك:) وبعد أن كتب ابن ناصر الدين هذا الكتاب (أي " الرد الوافر... ") استاء منه أصحابه، وانفض من حوله كثيرون منهم، كالمحدثين شمس الدين البلاطنسى والشهاب الخوارزمي وغيرهما، وفى جملة من أنكر عليه ذلك، الشهاب بن المحرة وابن قاضي شهبة...

وقال الذهبي في " تذكرة الحفاظ " جزء ٤، ص ١٤٩٧ ضمن ترجمته لابن تيمية: وقد انفرد بفتاوى، نيل من عرضه، لأجلها، وهي مغمورة في بحر علمه، فالله تعالى يسامحه ويرضى عنه، فما رأيت مثله، وكل أحد [من الأمة] فيؤخذ (فيأخذ - ظ) من قوله ويترك، فكان ماذا:

وقال ابن الوردي الشافعي (المحب لابن تيمية) في الجزء ٢، من كتابه " تتمة المختصر في أخبار البشر "، ص ٣٦٣: وفيها (أي في سنة ٧٠٥ ه)، استدعى الشيخ تقي الدين، أحمد بن تيمية من دمشق إلى مصر، وعقد له مجلس، واعتقل بما نسب إليه من التجسيم. وص ٤١١ - ٤١٢، ضمن ترجمته لابن تيمية: وفي آخر الأمر ظفروا له بمسألة السفر لزيارة قبور النبيين، وأن السفر، وشد الرحال لذلك منهي عنه، لقوله صلى الله عليه (وآله) وسلم: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ". مع اعترافه بأن الزيارة بلا شد رحل قربة، فشنعوا عليه بها، وكتب فيها جماعة بأنه يلزم من منعه شائبة تنقيص للنبوة، فيكفر بذلك، وأفتى عدة بأنه مخطئ بذلك خطأ المجتهدين المغفور لهم، ووافقهم جماعة، وكبرت القضية، فأعيد إلى قاعة بالقلعة، فبقي بضعة وعشرين شهرا، وآل الأمر إلى أن منع من الكتابة والمطالعة، وما تركوا عنده كراسا ولا دواة...

وفي " ذيل تذكرة الحفاظ " للحافظ أبي المحاسن الحسيني الدمشقي الشافعي (ص ٤٠، في ترجمة الحافظ تقي الدين السبكي المصري ثم الدمشقي، الشافعي): ومن تصانيفه: كتاب... وكتاب " شفاء السقام، في زيارة خير الأنام " وهو الرد على ابن تيمية: وقد يسمى، شن الغارة...

---

١ – القسطلاني: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس شهاب الدين، من علماء الحديث، مولده ووفاته في القاهرة له " إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري "، و " المواهب اللدنية في منح المحمدية " و " الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر "... وغير ذلك، (مولده في سنة ٨٥١ ووفاته في سنة ٩٢٣ ه). " الأعلام " للزركلي، جزء ١، ص ٤٢١.

---

١ - المنحرف عن علي عليه السلام: وسيأتي ترجمته عن قريب.
٢ - قال الذهبي: الحسكاني، القاضي المحدث، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن... أحمد بن محمد بن حسكان القرشي العامري النيسابوري الحنفي الحاكم ويعرف بابن الحذاء [الحافظ]: شيخ متقن ذو عناية تامة بعلم الحديث، وهو من ذرية الأمير عبد الله بن عامر بن كريز، الذي افتتح خراسان زمن عثمان، وكان معمرا عالي الإسناد... وما زال يسمع ويجمع ويفيد... وقد توفي بعد السبعين وأربع مائة، ووجدت له " مجلسا " يدل على تشيعه وخبرته بالحديث، وهو: " تصحيح خبر رد الشمس لعلي رضي الله عنه، وترغيم النواصب الشمس "... " تذكرة الحفاظ " جزء ٣، ص ١٢٠٠.

---

١ - تقدم ترجمته في ص ١٤٧ - ١٤٨.
٢ - قال ابن حجر: الحسن بن داود بن محمد بن... أبو محمد المدني: روى عن ابن أبي فديك، و... وغيرهم، و (روى) عنه، النسائي، وابن ماجة، و... و جماعة... وقال البخاري: يتكلمون فيه. وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به وذكره ابن حبان في الثقات. وقال البخاري: مات بعد الموسم بقليل، سنة ٢٤٧ ه (قال ابن حجر بعد ذلك:) قلت: وقال النسائي في أسماء شيوخه: لا بأس به... " تهذيب التهذيب "، جزء ٢، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.
٣ - قال الذهبي: ابن أبي فديك، الحافظ الكبير، محدث المدينة أبو إسماعيل، محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك، دينار الديلمي، المدني... و قال غير واحد، إنه ثقة. وأما ابن سعد فقال: ليس بحجة. وقال البخاري: مات سنة مائتين، رحمه الله تعالى. " تذكرة الحفاظ " جزء ٣، ص ٣٤٥ - ٤٤٦. أقول: وقد ورد ترجمته أيضا في " تهذيب التهذيب " جزء ٩، ص ٦١، وفيه: و (روى) عنه الشافعي، وأحمد، والحميدي، وقتيبة، وأحمد بن صالح، و... وآخرون. وقال النسائي، ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات... (قال ابن حجر:) قلت، وقال ابن معين ثقة. وقال ابن سعد: كان كثير الحديث، وليس بحجة. و " الوافي بالوفيات " جزء ٢، ص ٢٠٥، وفيه: قال ابن سعد وحده: ليس بحجة، وروى له الجماعة، أصحاب الحديث الصحيح.
٤ - قال ابن حجر: محمد بن موسى بن أبي عبد الله الفطري المدني، مولاهم أبو عبد الله بن أبي طلحة... قال أبو حاتم: صدوق صالح الحديث، [و] كان يتشيع وقال الترمذي، ثقة. وقال أبو جعفر الطحاوي: محمود في روايته. [و] ذكره ابن حبان في الثقات. (قال ابن حجر بعد ذلك: قلت: و (قال) في موضع آخر: مقبول الرواية. وقال ابن شاهين في الثقات: قال أحمد بن صالح: محمد بن موسى الفطري شيخ ثقة من الفطريين، حسن الحديث، قليل الحديث... " تهذيب التهذيب " جزء ٩، ص ٤٨٠. أقول: وقد ورد ترجمته أيضا في " لسان الميزان " جزء ٧، ص ٣٧٧ مختصرا، وفيه: وثقة الترمذي.

---

١ - قال أبو جعفر الطحاوي، بعد نقل الحديث من الطريق المذكور، فاحتجنا أن نعلم من محمد بن موسى المذكور في إسناد الحديث، فإذا هو محمد بن موسى المدني المعروف بالفطري، وهو محمود في روايته. واحتجنا أن نعلم من عون بن محمد المذكور فيه، فإذا هو عون بن محمد بن علي بن أبي طالب (ع). واحتجنا أن نعلم من أمه التي روى عنها في هذا الحديث، فإذا هي أم جعفر ابنة محمد بن جعفر بن أبي طالب (ع). " مشكل الآثار " جزء ٢، ص ٩. أقول: وفي ذيل ص ٩ (جزء ٢) من الكتاب المذكور، نقلا عن كنى " التقريب ": الفطري بكسر الفاء وسكون الطاء، المدني: صدوق من السابعة. وفي ذيل ص ٩ (جزء ٢) وكذا في ذيل ص ٣٨٩ (جزء ٤) من الكتاب، نقلا عن كنى " التقريب " أيضا: أم عون بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب، ويقال لها أم جعفر، مقبولة من الثالثة. وفي " تهذيب التهذيب ": جزء ١٢، ص ٤٧٤: أم عون بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب الهاشمية، ويقال أم جعفر: زوجة محمد بن الحنفية، وأم ابنه، عون. روت عن جدتها أسماء بنت عميس. و (روى) عنها ابنها، عون، وأم عيسى الجزار، ويقال الخزاعية.

٢ - أقول: ووثقه غير واحد أيضا، قال ابن حجر: الحسين بن الحسن الأشقر الفزاري الكوفي، روى عن شريك... وابن عيينة... وغيرهم، و (روى) عنه، أحمد بن عبدة الضبي، وأحمد بن حنبل، وابن معين، والفلاس، وابن سعد و... وغيرهم... (إلى أن قال:) وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: مات سنة ٢٠٨ ه، أخرج له النسائي حديثا واحدا في الصوم... وقال ابن الجنيد: سمعت ابن معين ذكر الأشقر، فقال: كان من الشيعة الغالية، قلت: فكيف حديثه: قال: لا بأس به قلت: صدوق؟ قال: نعم، كتبت عنه... " تهذيب التهذيب "، جزء ٢، ص ٣٣٥ إلى ٣٣٧.

أقول: ولا بأس بذكر بعض من ضعفه وما قال، حتى يعلم وجه تضعيفه، ففي الجزء ٢ (ص ٣٣٥ إلى ٣٣٧) من الكتاب المذكور: وقال الجوزجاني (المنحرف عن علي عليه السلام، في حقه): غال من الشتامين للخيرة. وأورد (العقيلي) عن أحمد بن محمد بن هاني، قال: قلت لأبي عبد الله، يعني ابن حنبل: تحدث عن حسين الأشقر؟ قال: لم يكن عندي ممن يكذب، وذكر عنه التشيع، فقال له العباس بن عبد العظيم: إنه يحدث في أبي بكر، وعمر وقلت أنا: يا أبا عبد الله، إنه صنف بابا في معائبهما، فقال: ليس هذا بأهل أن يحدث عنه، وقال له العباس: إنه روى عن ابن عينية، عن ابن طاوس، عن أبيه حجر المدري، قال: قال لي علي (عليه السلام): " إنك ستعرض على سبي، وتعرض على البراءة مني، فلا تتبرأ مني ". فاستعظمه أحمد، وأنكره. قال (أي العباس بن عبد العظيم): ونسبه (أي نسب الحسين الأشقر، الحديث) إلى طاوس: أخبرني أربعة من الصحابة: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي (عليه السلام): " اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ". فأنكره جدا، وكأنه لم يشك أن هذين كذب. ثم حكى العباس عن علي بن المديني أنه قال: هما (أي الحديثان) كذب، ليسا من حديث ابن عينية.

---

١ - الصحيح: إبراهيم بن الحسن بن الحسن، قال ابن حجر: إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليم السلام)، روى عنه الفضل [الفضيل - صح] بن مرزوق حديث رد الشمس لعلي (عليهم السلام)، ذكره المؤلف (أي الذهبي) في " المغني " (ثم قال:) قلت: وروى عنه أيضا أبو عقيل يحيى بن المتوكل وقال ابن أبي حاتم: روى (إبراهيم بن الحسن) عن أبيه، ولم يذكر فيه جرحا. و ذكره ابن حبان في الثقات، فقال: روى عن أبيه و (عن) فاطمة بنت الحسين. (قال ابن حجر بعده:) قلت: هي (أي فاطمة بن الحسين عليه السلام) أمه. " لسان الميزان "، جزء ١، ص ٤٧ - ٤٨. أقول: وقد ورد ترجمته أيضا في " تاريخ بغداد " جزء ٦، ص ٥٤، و " مقاتل الطالبيين " لأبي الفرج، ص ١٨٧ - ١٨٨. و " الطبقات " لابن سعد، جزء ٥، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ (في ترجمة حسن بن حسن بن علي عليهم السلام).

٢ - الصحيح: عبيد الله، وهو عبيد الله بن موسى العبسي الآتي ترجمته عن قريب، وقد روى الحديث أبو جعفر الطحاوي في كتابه " مشكل الآثار " بطريقين، كما تقدم، وطريقه الأول هكذا: حدثنا أبو أمية (الطرسوسي، الآتي ترجمته قريبا)، حدثنا عبيد الله بن موسى العبسي، حدثنا الفضيل بن مرزوق، عن إبراهيم بن الحسن، عن فاطمة ابنة الحسين (ع) عن أسماء بنت عميس (فذكر الحديث). وطريقه الثاني: حدثنا علي بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة، حدثنا أحمد بن صالح (المصري)، حدثنا ابن أبي فديك، حدثني محمد بن موسى (الفطري)، عن عون بن محمد، عن أمه أم جعفر، عن أسماء بنت عميس (فذكر الحديث).

---

١ - وسنذكر ما قدمه.
٢ - قال الذهبي: أبو أمية، الحافظ الكبير محمد بن إبراهيم بن مسلم البغدادي ثم الطرسوسي صاحب المسند... وثقه أبو داود، وغيره. وذكره الفقيه أبو بكر الخلال، قال: إمام في الحديث، رفيع القدر جدا... قال أبو سعيد بن يونس: توفي بطرسوس في جمادى الآخرة، سنة ثلاث وسبعين ومائتين... " تذكرة الحفاظ "، جزء ٢، ص ٥٨١. أقول: وقد ورد ترجمته أيضا في " تهذيب التهذيب "، جزء ٩، ص ١٥ - ١٦، وفيه: قال الآجري عن أبي داود: ثقة. وقال أبو بكر الخلال: أبو أمية، رفيع القدر جدا، كان إماما في الحديث، مقدما في زمانه... وقال الحاكم: صدوق كثير الوهم، وقال ابن يونس، كان فهما بالحديث، وكان حسن الحديث... و " تاريخ بغداد "، جزء ١، ص ٣٩٤ إلى ١٩٦، (وفيه مثل ما في " تهذيب التهذيب "، سوى قول الحاكم). و " الأعلام " للزركلي، جزء ٦، ص ١٨٣.
٣ - قال اليافعي: وفي السنة المذكورة (أي في سنة ٢١٣ ه) توفي عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي الحافظ، وكان إماما في الفقه والحديث والقرآن، موصوفا بالعبادة والصلاح، لكنه من رؤس الشيعة. " مرآة الجنان "، جزء ٢ ص ٥٧. وقال الذهبي: عبيد الله بن موسى، الحافظ الثبت، أبو محمد العبسي مولاهم الكوفي المقري العابد، من كبار علماء الشيعة، ولد بعد العشرين ومائة... روى عنه البخاري، ثم روى هو (أي البخاري) وباقي الجماعة في كتبهم عن رجل، عنه وحدث عنه أحمد (ابن حنبل)، و.... والدارمي، و... وخلائق، وثقه يحيى بن معين، وقال أبو حاتم: ثقة صدوق.... وقال العجلي: كان عالما بالقرآن، رأسا فيه ما رأيته رافعا رأسه، وما رئي ضاحكا قط... " تذكرة الحفاظ ": جزء ١، ص ٣٥٣ - ٣٥٤. وقال ابن حجر: عبيد الله بن موسى بن أبي المختار، واسمه: باذام العبسي مولاهم الكوفي، أبو محمد الحافظ، روى عن إسماعيل بن خالد... والثوري والأوزاعي... وطائفة، و (روى) عنه البخاري - وروى هو (أي البخاري) والباقون له بواسطة أحمد بن أبي سريح الرازي... ومحمد بن سعد كاتب الواقدي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين... وآخرون. وقال معاوية بن صالح: سألت ابن معين، عنه، فقال: اكتب عنه. وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: ثقة حسن الحديث... وقال العجلي: ثقة... وقال ابن عدي: ثقة. وقال ابن سعد (في " الطبقات "، جزء ٦، ص ٢٧٩، ضمن ترجمته لعبيد الله بن موسى المذكور: ") قرأ على عيسى بن عمر، وعلى علي بن صالح، وكان ثقة صدوقا إنشاء الله تعالى، كثير الحديث، حسن الهيئة، وكان يتشيع، ويروي أحاديث في التشيع منكرة، وضعف بذلك عند كثير من الناس، وكان صاحب قرآن. وذكره ابن حيان في الثقات، وقال: كان يتشيع... وقال يعقوب بن سفيان (المتصلب في السنة): شيعي، وإن قال قائل: رافضي، لم أنكر عليه، وهو منكر الحديث. وقال الجوزجاني (المنحرف عن علي عليه السلام): وعبيد الله بن موسى، أغلى وأسوء مذهبا وأروى للعجائب. وقال الحاكم: سمعت قاسم بن قاسم اليساري، سمعت أبا مسلم البغدادي الحافظ يقول: عبيد الله بن موسى من المتروكين، تركه أحمد (ابن حنبل) لتشيعه... وقال ابن شاهين في الثقات: قال عثمان بن أبي شيبة: صدوق ثقة... وقال ابن قانع: كوفي صالح، يتشيع. وقال الساجي: صدوق، كان يفرط

في التشيع... وفي " الزهرة ": روى عنه البخاري ٢٧ حديثا، وروى في مواضع غير واحد عنه. " تهذيب التهذيب "، جزء ٧، ص ٥٠ إلى ٥٢.

---

١ - إذا كان الرجل ممن يتساهل في الحديث، فيروي عمن لا يعرفه ثم يدلس فيسقط من لا يعرفه ويذكر شيخه، فكيف روى عنه مسلم في صحيحه، والترمذي في جامعه، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجة في سننهم؟ وكيف يكون هذه الكتب من الكتب المعتمدة عند ابن كثير، ومن يحذو حذوه؟.

---

١ - أنظر إلى هذا الرجل كيف دعاه عناده وعصبيته إلى التفوه بهذه التشكيكات الباردة التي تضحك منها الثكلى، والتشبث في رد سند الحديث بقول: " لعل " و " لا يدرى ". فسبحان من يطمس على القلوب.

٢ - تقدم في ص ١٥٨ من الكتاب نقلا عن ابن حجر: إن ابن حبان ذكره في " الثقات "، ولم يذكر ابن أبي حاتم (في كتابه: " الجرح والتعديل ") في حقه جرحا.

٣ - وسنذكر ملخص خدشته، ثم نجيب عنه.

٤ - محمد بن عبد الواحد الأنصار، كمال الدين، المعروف بابن الزملكاني: فقيه، انتهت إليه رياسة الشافعية في عصره، ولد وتعلم بدمشق، وتصدر للتدريس والإفتاء.... ودفن بالقاهرة، له رسالة في الرد على ابن تيمية في مسألتي " الطلاق والزيارة " و... (مولده في سنة ٦٦٧ ه ووفاته في سنة ٧٢٧). " الأعلام "، جزء ٧، ص ١٧٥. وفي " مرآة الجنان " لليافعي، جزء ٤، ص ٢٧٨، وفيها (أي في سنة ص ٧٢٧) توفي الإمام العلامة الأوحد مفتي الشام، شيخ الشافعية قاضي القضاة كمال الدين أبو المعالي... له خبرة بالمتون ومعرفة بالمذهب وأصوله... وفي " البداية والنهاية "، جزء ١٤، ص ١٣١ (وممن توفي في سنة ٧٢٧ من الأعيان:) الشيخ كمال الدين بن الزملكاني، شيخ الشافعية بالشام وغيرها، انتهت إليه رياسة المذهب تدريسا وإفتاء ومناظرة... وبرع وحصل وساد أقرانه من أهل مذهبه...

---

١ - وغيرهم ممن تقدم ذكرهم من حفاظ أهل السنة وأئمتهم.
٢ - المنحرف عن علي عليه السلام.
٣ - العثماني، وسيأتي ترجمته عن قريب.

---

١ - وهذا الحديث هو الذي نقلنا عن ابن كثير، في ص ١٥٩ من كتاب أنه قال: " وقد قدمنا روايتنا له من حديث سعيد بن مسعود وأبي أمية الطرسوسي عن... "، وقلنا في ذيل قوله: " وسنذكر ما قدمه ".

٢ - قد نقدم في ص ١٤٠ من الكتاب، ما قاله صاحب السيرة الدحلانية والسيوطي، في شأن كتاب " الموضوعات " لأبي الفرج بن الجوزي، وكذا ما قاله الذهبي في ترجمة أبي الفرج بن الجوزي وما نقله عن الموفق بن عبد المطلب في شأن تآليفه وتصانيفه.

٣ - تقدم في ص ١٣٤ و ١٣٩ ما قاله السبط بن الجوزي وصاحب السيرة الحلبية في رد قول ابن الجوزي: " إن الحديث موضوع ".

٤ - لم يبين وجه نكارة الحديث، وقوله: " وفيه غير واحد من المجاهيل "، دعوى بلا برهان.

٥ - تقدم في ص ١٤٤ - ١٤٥ ترجمة ابن عقدة، وتقدم أيضا في ص ١٣٦ و ١٤٤ و ١٥٢ - ١٥٣ ما قاله السبط بن الجوزي والسيوطي وعلي القاري شارح الشفاء في حق ابن عقدة، ردا على ابن الجوزي ومن يحذو حذوه.

٦ - قوله: " من هذا الحديث موضوع "، دعوى بلا دليل، وكذا قول الذهبي بعد ذلك: " وصدق ابن ناصر ".

---

١ – تقدم في ص ١٤٥ – ١٤٦ ترجمة داود بن فراهيج، وما قال ابن معين و يحيى القطان وابن عدي وأبو حاتم والعجلي في حقه مما يدل على وثاقته.
٢ – تقدم في ص ١٣٨ و ١٥٣ – ١٥٤ من الكتاب ما قاله ابن حجر الهيتمي والصبان وعلي القاري شارح الشفاء، ردا على ابن الجوزي ومن تابعه في هذا المقال، كالدلجي الذي هو شارح آخر لكتاب " الشفاء " للقاضي عياض.
٣ – تقدم في ص ١٣٤ و ١٣٩ و ١٤٢ و ١٥٤ الجواب عن ذلك، نقلا عن الطحاوي في مشكل الآثار، وصاحب المعتصر والسيرة الدحلانية، وعلي القاري شارح الشفاء.
٤ – قوله: هذا الحديث ضعيف ومنكر من جميع طرقه... وكذا ما ذكره ضمن رده للأحاديث التي نقلها الحسكاني في رد الشمس لعلي عليه السلام بقوله تارة: والذي يظهر أن هذا (أي حديث رد الشمس) مفتعل من بعض الرواة، أو قد دخل على أحدهم وهو لا يشعر، وأخرى: وكل هذا يدل على أنه (أي حديث رد الشمس) موضوع مصنوع مفتعل يسرقه هؤلاء الرافضة بعضهم من بعض. وثالثة: وأنه (أي حديث رد الشمس) مصنوع مما عملته أيدي الروافض. وكذا قول ابن زنجويه البخاري، ولكن الحديث ضعيف جدا لا أصل له، وهذا مما كسبت أيدي الروافض. في غاية الوهن والركاكة، كيف وقد تقدم: أن الحديث نقله عدة كثيرة من محدثي أهل السنة وحفاظهم بطرق عديدة مختلفة، وذهب عدة من محققيهم إلى صحته متنا وسندا، وردوا على جمع قالوا: إنه موضوع أو ذهبوا إلى ضعف سند الحديث بطرقه الكثيرة.
وتقدم أيضا: إن الحديث أرسله إرسال المسلمات، الفخر الرازي في تفسيره، وابن حجر الهيثمي في صواعقه، والشبلنجي في نور أبصاره، والصبان في إسعافه، وتقدم أيضا (على ما نقله أبو جعفر الطحاوي وغيره) أن أحمد بن صالح المصري كان يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء (في رد الشمس لعلي عليه السلام) لأنه من علامات النبوة.
وقد قال أبو جعفر الطحاوي (وهو الذي نقل حديث رد الشمس في كتابه " مشكل الآثار ") في ص ٣ من الجزء ١ من كتابه (المذكور)، فإني نظرت في الآثار المروية عنه صلى الله عليه وآله وسلم بالأسانيد المقبولة التي نقلها ذووا التثبت فيها والأمانة عليها وحسن الأداء لها، فوجدت فيها أشياء مما سقطت معرفتها والعلم بما فيها من أكثر الناس، فمال قلبي إلى تأملها وتبيان ما قد وردت عليه من مشكلها...
وقال السبط بن الجوزي في ص ٨ من " تذكرة خواصه " (قبل نقله حديث رد الشمس وسائر الأحاديث الواردة في فضائل علي عليه السلام): الباب الثاني في ذكر فضائله عليه السلام، وهي أشهر من الشمس والقمر، وأكثر من الحصى والمدر، وقد اخترت منها ما ثبت واشتهر، وهي قسمان، قسم مستنبط من الكتاب، والثاني من السنة الظاهرة التي لا شك فيها ولا ارتياب.
وقال الحافظ علي القاري في " شرح الشفاء "، جزء ١، ص ٥٨٩ ذيل قول القاضي (وأما رد الشمس له صلى الله عليه (وآله) وسلم)، فاختلف المحدثون في تصحيحه وضعفه ووضعه، والأكثرون على ضعفه، فهو في الجملة ثابت بأصله، وقد يتقوى بتعاضد الأسانيد إلى أن يصل إلى مرتبة حسنة، فيصح الاحتجاج به.

وقد تقدم أيضا عن السيوطي إنه قال (في ص ٣٣٧ من الجزء ١ من كتابه " اللآلي المصنوعة " بعد نقل الحديث بطرقه الكثيرة وما قالوا فيه): ثم الحديث صرح جماعة من الأئمة والحفاظ بأنه صحيح، إلى أن قال في ص ٣٤١، ومما يشهد بصحة ذلك (أي بصحة حديث رد الشمس) قول الإمام الشافعي وغيره: ما أوتي نبي معجزة إلا وقد أوتي نبينا صلى الله عليه (وآله) وسلم نظيرها أو أبلغ منها، وقد صح أن الشمس حبست على يوشع (عليه السلام) ليالي قاتل الجبارين، فلا بد أن يكون لنبينا صلى الله عليه (وآله) وسلم نظير ذلك...

وتقدم أيضا عن السيوطي إن أبا الحسن شاذان الفضلي العراقي كتب جزء مستقلا في حديث رد الشمس بطرقه الكثيرة.

وتقدم عن ابن كثير نفسه (وعن غيره): أن أبا القاسم الحسكاني صنف في حديث رد الشمس كتاب سماه " تصحيح حديث رد الشمس وترغيم النواصب الشمس "، فالحديث صحيح لا غبار عليه أصلا وله أصل أصيل عند الفريقين، فتدبر.

---

١ - العجب من ابن كثير ومن كان على مذهبه، حيث إنهم تسلموا قصة حبس الشمس ليوشع (ع) وقطعوا بصحتها بسبب ورود حديث واحد في بعض مسانيدهم عن أبي هريرة فقط، ولم يقبلوا قصة رد الشمس لعلي عليه السلام بدعاء النبي صلى الله عليه وآله مع ورود أحاديث كثيرة متعددة الأسانيد والطرق فيها، وكيف لا يلزم أن يكون الحديث في قصة حبس الشمس ليوشع عليه السلام (على مذهبه) متواترا، ويلزم تواتره في قصة رد الشمس لعلي عليه السلام؟ " إن هذا لشيء عجاب ".
قال ابن كثير في ص ٢٨١ - ٢٨٢ من الجزء ٦ من كتابه " البداية والنهاية " (في باب ما أعطي رسول الله (ص) وما أعطي الأنبياء قبله): قصة حبس الشمس على يوشع بن نون... وقد كان نبي بني إسرائيل بعد موسى، وهو الذي خرج ببني إسرائيل من التيه ودخل بهم بيت المقدس بعد حصار ومقاتلة، وكان الفتح قد ينجز بعد العصر يوم الجمعة، وكادت الشمس تغرب ويدخل عليهم السبت، فلا يتمكنون معه من القتال، فنظر إلى الشمس فقال: إنك مأمور، وأنا مأمور، ثم قال: اللهم احبسها على، فحبسها الله عليه حتى فتح البلد، ثم غربت، وقد قدمنا في قصة من قصص الأنبياء، الحديث الوارد في صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر بن همام عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله)، قال: " غزا نبي من الأنبياء فدنا من القرية حين صلى العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة، وأنا مأمور، اللهم أمسكها على شيئا، فحبست عليه حتى فتح الله عليه، الحديث بطوله. (ثم قال:) وهذا النبي هو يوشع بن نون، بدليل ما رواه الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر... عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): " إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع عليه السلام ليالي سار إلى بيت المقدس، تفرد به (أي بالحديث) أحمد، وإسناده على شرط البخاري.
٢ - تقدم آنفا تحت رقم ١.

---

١ - بل لغير الروافض أيضا ممن تقدم ذكرهم من محققي أهل السنة وحفاظهم، لو لم يكونوا عنده وعند أمثاله - بسبب نقلهم الحديث أو تصحيحهم له، أوردهم على من قال إنه موضوع - رافضيا. ولما لم يثبت عندنا فوت صلاة الظهر والعصر والمغرب عن النبي صلى الله عليه وآله يوم الخندق، وكذا نومه عن صلاة الصبح فلم يبق لقوله بعد ذلك، " أيجوز أن ترد الشمس لأبي الحسن... " مورد أصلا، هذا مضافا إلى ما أجاب شارح الشفاء عن ذلك، الذي نقلناه في ص ١٥٥ من الكتاب.

٢ - قال ابن حجر: إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي أبو إسحاق الجوزجاني: سكن دمشق... (ثم قال:) قلت: وقال ابن حبان في " الثقات ": كان حروري المذهب (أقول: الحرورية على ما في " مجمع البحرين " وغيره: الخوارج كان أول مجتمعهم في الحروراء، قرية بقرب الكوفة) ولم يكن بداعية، وكان صلبا في السنة حافظا للحديث، إلا أنه من صلابته ربما كان يتعدى طوره. وقال ابن عدي: كان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق في الميل على على (عليه السلام). وقال السلمي عن الدارقطني بعد أن ذكر توثيقه: لكن فيه انحرف عن علي (عليه السلام)، اجتمع ببابه أصحاب الحديث، فأخرجت جارية له، فروجة (أي فرخ دجاجة) لتذبحها، فلم تجد من يذبحها، فقال (أي الجوزجاني): سبحان الله، فروجة لا يوجد من يذبحها، وعلي يذبح في ضحوة (أي في ارتفاع نهار) نيفا و عشرين ألف مسلم. (قال ابن حجر بعد ذلك:) قلت: وكتابه في الضعفاء يوضح مقالته، ورأيت في نسخة من كتاب ابن حبان: حريزي المذهب، وهو بفتح الحاء المهملة وكسر الراء وبعد الياء زاي، نسبة إلى حريز بن عثمان المعروف بالنصب، وكلام ابن عدي يؤيد هذا. " تهذيب التهذيب "، جزء ١، ص ١٨١ - ١٧٢. أقول: وقد ورد ترجمته أيضا في " تذكرة الحفاظ "، ج ٢، ص ٥٤٩، وفيها نقلا عن ابن عدي: وكان يتحامل على علي رضي الله عنه، وعن الدارقطني، وفيه انحراف عن علي (عليه السلام). قال أبو الدحداح: مات في ذي القعدة سنة ٢٥٩، وقال غيره: سنة ٢٥٦. و " معجم البلدان " (ط بيروت، سنة ١٣٨٨ ه) جزء ٢، ص ١٨٢ - ١٨٣، وفيه نقلا عن الدارقطني: لكن كان فيه انحراف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال عبد الله بن أحمد بن عديس: كنا عند إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، فالتمس من يذبح له دجاجة فتعذر عليه، فقال: يا قوم، يتعذر على من يذبح لي دجاجة، وعلي بن أبي طالب قتل سبعين ألفا في وقت واحد، أو كما قال.

أقول: فلا عجب من صاحب الترجمة (الجوزجاني) وما قال، نقلا عن محمد بن عبيد الطنافسي العثماني في حق من ذهب إلى رجوع الشمس على علي عليه السلام بدعاء النبي صلى الله عليه وآله، بل لا عجب من كل من كان من أهل دمشق - كابن تيمية، وابن كثير - وكان همه مصروفا إلى رد الأحاديث الصحيحة التي نقلها الفريقان في فضائله عليه الصلاة والسلام، بناء على ما تقدم نقله عن ابن عدي، فتدبر.

---

١ - قال ابن حجر: محمد بن عبيد بن أبي أمية، واسمه عبد الرحمن ويقال: إسماعيل، الطنافسي أبو عبد الله، الكوفي، الأحدب مولى أياد... وقال العجلي: كوفي ثقة، وكان عثمانيا... وقال الدوري، سمعت محمد بن عبيد يقول: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ويقول: اتقوا لا يخدعكم هؤلاء الكوفيون. " تهذيب التهذيب "، جزء ٩، ص ٣٢٧ إلى ٣٢٩. أقول: وقد ورد ترجمته أيضا في " الوافي بالوفيات "، جزء ٣، ص ٢٠٧، وفيه نقلا عن يعقوب بن شيبة: كان ممن يقدم عثمان على على (عليه السلام)، وقل من يذهب إلى هذا المذهب من أهل الكوفة، توفي سنة ٢٠٥. و: " تذكرة الحفاظ "، ج ١، ص ٣٣٣، وفيها نقلا عن يعقوب السدوسي: محمد بن عبيد مولى لأياد، مكث ببغداد دهرا،، ثم رجع إلى الكوفة، فمات بها سنة ٢٠٤، وكان ممن يقدم عثمان، وقل من يذهب إلى هذا من الكوفيين، عامتهم يقدم عليا (عليه السلام)، أو يقف عند عثمان وعلي، و " تاريخ بغداد "، جزء ٢، ص ٣٦٥ إلى ٣٦٩، وفيه نقلا عن العباس الدوري: سمعت محمد بن عبيد الطنافسي يقول: خير هذه الأمة بعد نبينا أبو بكر: ثم عمر ثم عثمان ويقول لا يسخر بكم هؤلاء الكوفيون، اتقوا لا يخدعكم هؤلاء الكوفيون. وعن عبد الله بن أيوب قال: قال رجل عند محمد بن عبيد: أبو بكر، وعمر، وعلي، وعثمان، فقال له: ويلك من (لم) يقل أبو بكر، وعمر وعثمان، وعلي، فقد أزرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم. وعن محمد بن يعقوب عن جده، قال: محمد بن عبيد... وكان من الكوفيون ممن يقدم عثمان على علي (عليه السلام)... وعن أبي مسلم صالح بن أحمد بن عبد الله العجلي عن أبيه قال: محمد بن عبيد الطنافسي.... كوفي ثقة، وكان عثمانيا.

---

١ - ولفظ الحديث على ما نقل فيه عن أم جعفر، قالت: خرجت مع جدتي أسماء بنت عميس وعمي عبد الله بن جعفر حتى إذا كنا بالصهباء، قالت: حدثتني أسماء بنت عميس، قالت: يا بنية، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المكان، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله الظهر، ثم دعا عليا عليه السلام، فاستعان به في بعض حاجته، ثم جاءت العصر، فقام النبي فصلى العصر، فجاء علي عليه السلام، فقعد إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله، فأوحى الله عز وجل إلى نبيه صلى الله عليه وآله، فوضع رأسه في حجر علي عليه السلام حتى غابت الشمس، لا يرى منها شيء لا على أرض ولا جبل، ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لعلي عليه السلام: " هل صليت العصر "؟ فقال: لا يا رسول الله، أنبئت أنك لم تصل، فلما وضعت رأسك في حجري لم أكن لأحركه، فقال: " اللهم إن هذا عبدك على احتبس نفسه على نبيك فرد عليه شرقها، فطلعت الشمس، فلم يبق جبل ولا أرض إلا طلعت عليه الشمس، ثم قام علي عليه السلام، فتوضأ وصلى، ثم انكسفت.

٢ - تقدم ترجمته في ص ١٤١.

[(فصل، في تكلم الشاة المسمومة وشهادة الضب له صلى الله عليه وآله)
(بالرسالة وحنين الجذع)
١ - لما اطمئن رسول الله صلى الله عليه وآله (بخيبر، بعد فتحها) أهدت له زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية (١)، وقد سألت أي عضو]

---

١ - تقدم ترجمته في ص ١٤٠ - ١٤١.
٢ - تقدم ترجمته في ص ١٥٥.

من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وآله تناول الذراع، فلاك منها مضغة، فلم يسغها (١)، ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله صلى الله عليه وآله فلفظها (٢)، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها، فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟
قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكا استرحت منه، وإن كان نبيا فسيخبر، الخ. (٣)

إن النبي صلى الله عليه وآله كان في أصحابه إذ جاءه أعرابي معه ضب، قد صاده وجعله في كمه، قال: من هذا؟ قالوا: هذا النبي، قال: واللات والعزى ما أحد أبغض إلي منك، ولولا أن تسميني قومي عجولا لعجلت عليك فقتلتك، فقال: ما حملك على ما قلت؟ آمن بالله، قال: لا آمنت أو يؤمن بك هذا الضب وطرحه، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا ضب، فأجابه الضب بلسان عربي يسمعه القوم، لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة، قال: من تعبد؟ قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه، قال: فمن أنا يا ضب؟ قال: رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدقك، وخاب من كذبك، قال الأعرابي: لا أتبع أثرا بعد عين، لقد جئتك وما على ظهر الأرض أحد أبغض إلى منك، وإنك الآن أحب إلى من نفسي ووالدي [وولدي - خ ل] أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك محمد رسول الله، فرجع إلى قومه و كان من بني سليم فأخبرهم بالقصة، فآمن ألف إنسان منهم (١)

٣ - كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سواري المسجد، (١) فلما صنع له المنبر واستوى عليه اضطربت تلك السارية، وحنت كحنين الناقة (٢)، حتى سمعها أهل المسجد، (٣) فنزل رسول الله

صلى الله عليه وآله فاعتنقها فسكتت (١).
انتهى الجزء الأول من الكتاب المشتمل على مبحث التوحيد
والنبوة، ويتلوه الجزء الثاني في الإمامة والمعاد، إنشاء الله تعالى.

" تصحيح واعتذار
قال الكاتب چلپى المعروف بالحاج خليفة في كتابه " كشف - الظنون "، ج ٢، ص ١٠٥٣، عمود ١، سطر ٣٣ إلى ٣٦: وشرحه (أي وشرح " كتاب الشفاء " للقاضي عياض) الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الدلجي الشافعي العثماني (المتوفي سنة ٩٤٧ ه)، سبع وأربعين وتسعمائة) سماه: " الإصطفا لبيان معاني الشفاء "، أتمه في اثني عشر شوال، سنة ٩٣٥، خمس وثلاثين وتسعمائة.
أقول: ومراد علي القاري شارح الشفاء، من الدلجي ذكره في شرح الشفاء، هو هذا، لا ما نقلنا ترجمته في ذيل ص ١٥٣ - ١٥٤ من الكتاب، عن " الأعلام ".
ومنشأ الاشتباه، هو أن خير الدين الزركلي صاحب " الأعلام " لم يذكر في: " الدلجي " الذي أورده في باب " الدال "، غير أحمد بن علي المتقدم ترجمته في ذيل ص ١٥٣ - ١٥٤، وبعد أن تصفحت " شرح الشفاء " لعلي القاري، وعلمت أن " الدلجي " المذكور في كلماته هو شارح آخر لكتاب " الشفاء "، وعلمت أيضا مما في " كشف - الظنون "، أن اسم هذا " الدلجي " هو محمد بن محمد، راجعت باب " الميم " من كتاب " الأعلام "، فوجدت في " محمد بن محمد بن محمد " ترجمته، غير أنه لم يعنونه ب " الدلجي "، بل ب " محمد - الدلجي.